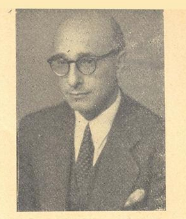
شيء آخر الى المبنى والمعنى



***

من الواضح ان غاية الحياة البشرية الواعية في مطلع التاريخ البشري انما كانت مجرد سعي الى الوجود والبقاء . كان حرص الناس آنئذ على حياة اشبه ما نعرف من حرص الطفل والحيوان . وما اظننا بحاجة الى الابتعاد في القدم اكثر من خمسة آلاف سنة من اليوم ، حين بدأ الانسان يعي نفسه ويصور ويكتب ويفتن .

لم تتعد قدرته ، او لم يتعد وعيه ، بادىء الامر ان يعبر عن نفسه في كلمات او تراكيب او تصاوير تشرح ما يقع له او ما يبتغي من مظاهر الحياة البدائية التي كان يحيا . فلما بلغت قدرته بعد ذاك مبلغ الالمام بطرف من القول المنثور والشعر والثقافة وبعض المعاني العالية لم يزد ادبه على ان يحاول تعبيرا عما كانت تعتلج به نفسه . فلما اشرأب الى ترف من العيش يطرب له او يترفه به لم يبلغ اكثر من ان يؤلف تعبيرا جميلا عنده ، فكانت بدايات الادب . ولم يكن ذلك الا محاولة لابراز اعتلاجاته وخواطره في تعبير مهذب . وعلى هذا النسق مضى يومئذ في سائر فنه ، وبه اتسم ادبه الاول . وما قد وصل الينا من اقواله نثرية وشعرية انما كان ، كما المعنا ، تعبيرا عن وجوده واوضاعه المادية والدينية والاجتماعية . وصل الينا كثير من ذلك عن الافريقيين والمصريين واليونان والعرب الاقدمين .

وكانت تلك هي مرحلة (المبنى) من الادب والفن والثقافة جميعا .

فلما انتقل الانسان الى مرحلة اخرى من مراحل النشوء والارتقاء ، اطلع فرأى مجرد الوصف لكيانه ووجوده – وكان بائسا تاعسا على كل حال – غير واف بغرض ، فاضاف الى ادبه وثقافته معاني اصبح لا ينظر الى الادب نظرة عالية الا بها . لم يعد اللفظ وحده ، ولو كان جميلا ، يكفيه . وكان مجتمعه في هذه المرحلة مؤلفا من طبقات يخضع بعضها لبعض خضوع العبيد للسادة ، فجاءت هذه المعاني مديحا وتمجيدا من الادنى الى الاعلى . كان ذلك طابعها الاكبر ، وكانت ذات غناء لشخصية فردية اوتيت موهبة التعبير ، وبذلك اضيف الى المبنى الادبي (المعنى) الضروري ، دون ان يتساءل الانسان كثيرا عن فائدة هذا المعنى للمجتمع كله . اصبح في الاداء معنى اذن ، واصبح الادب البشري ذا مضمونين رئيسيين ، وصرنا لا نرى الانتاج الادبي بما برز به من مبنى صحيح فقط ، وانما اضفنا الى ذلك المعنى الذي تنقله التعابير الجميلة . ولكن هذا المعنى كان في الغالب سيطرة ظالم او سيطرة حاكم او سعة سلطان قام على العبودية والاستعمار . لم يكن يفيد الناس ذلك يومئذ ، وما كانوا دائما يعلمون ، ولكن يعنينا ان الادب اصبح ذا شقين كما قلنا : معنى ومبنى . وكانت القطعة الادبية التي تحسن وصف الظلم ، دون ان تشير الى طبيعة الظلم او دفع شره ، قطعة ادبية في الغالب « رائعة » .

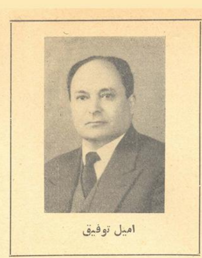
حتى كانت الصفة الثالثة الرئيسية لاي ادب صحيح او ثقافة او فن ، وهي الصفة التي بدأنا نتطلبها في هذا العصر الذي نعيش فيه، والتي من اجلها تضطرم النار حول « الالتزام » في الادب ، وما اليه من النزعات . ان الركن الجديد هو ان لا يقتصر الادب على التعبير الجميل وحده او المعنى الصادق وحده ، بل يجب ان يرمي هذا المعنى – لكن يكون صحيحا جميلا – الى هدف ايجابي ، هدف بناء ، كما يقولون ، ازاء مقتضيات الحياة بعناصرها الجديدة التي اخذ الناس يتشبثون بها : الاكتفاء المادي والاكتفاء المعنوي والديموقراطية والهدف السامي ، وما الى ذلك .

على ان هذه الادوار لم تطرد واحدا اثر آخر بفاصل بيّن بين الادوار الثلاثة التي مرت على تاريخ الادب في العالم ، وانما عانى كل دور مخاض الانتقال الى الدور التالي . ولقد يسهل علينا الان ان نشاهد المخاض الثاني . فالملاحاة التي تدور بين اصحاب « الفن للفن » واصحاب « الفن للمجتمع » واضحة معروفة . والواقع ان الادب والفن جميعا ينتقلان الان من الدور الثاني الى الدور الثالث ، دور (الشيء الاخر) الذي اشرنا اليه في عنوان هذه الكلمة ، دور « الخدمة الاجتماعية » التي يجب ان تضاف الى جمال المبنى والمعنى لينتج من ذلك ادب صحيح .

والظاهر ان زمن الدور الثالث سيطول . اما الدور الذي يلي ، ما هو ومتى تتمخض عنه احداث التطور ، فعلمه عند علام الغيوب .

عمان – الاردن

محمد اديب العامري



اميل توفيق

في فلسفة التقدم الاجتماعي

بين كريستوفر دوسون وابن خلدون

بقلم اميل توفيق

يرجع الفلاسفة الماديون التقدم الاجتماعي الى عوامل ثلاثة هامة هي السلالة والوراثة والاقتصاد . ومنهج هؤلاء منهج جبري لا يدخل العوامل النفسية في التقدم ، كما في نظرية كارل ماركس التي تفسر التاريخ تفسيرا ماديا . اما كريستوفر دوسون فيرى ان العامل النفسي الذي يغفله بعض المؤرخين ، من اهم العناصر الديناميكية لسير الحضارة سيرها الحثيث — وفي رأيه ان العنصر المادي والعنصر الفكري لا غنى عنهما لانماء الحضارة فهما يكونان وحدة سيكلوجية فيزيقية ، كما تتكون في الانسان نفسه الوحدة النفسية البيولوجية .

والحضارة عند دوسون مرتبطة بتفاعل الانسان مع الطبيعة ومواردها ، اي تفاعلها مع التربة التي منها تتكون المهن الاصيلة الاولى للجماعة المتفاعلة . . ، ومنتجات البيئة انما تنعكس في كل ظواهر الحضارة المادية ، في الطعام ، في الملبس ، في المساكن ، في الطرقات ، وفي طرق المواصلات وما اليها ، بل وتحدد ايضا قوالب السلوك . ولكن ينبغي ان ندخل عنصرا هاما فعملية النمو الحضاري عملية تعاونية خلاقة ، ففيها يوجد التزاوج بين هذه الاستجابة المادية ، والاستجابة الروحية التعاونية المبدعة بين فئات الجماعة الانسانية .

وهو لذلك يقول : ان ازدهار الحضارة والوصول بها الى مرتبة امتداد الحضارة ، او المدنية ، انما يتوقف على عاملين رئيسيين هامين : اولهما وجود حافز مقدس للحياة الجماعية يكون محورا للوجود ، ويحفز الناس لبعث الطاقات وبوجه المجتمع نحو التكامل ، ويوجد الناس على قيم التعاون والخير والتضحية والفداء في سبيل خير الجماعة وصالحها ، هذا العامل هو العامل الديني الذي يعتبر محور المدنية ، وان انهياره انهيار للخلق وللقيم ولمكونات المدنية نفسها .

ومن امثلة المدنيات التي يسوقها دوسون المثالية اليونانية كمثال للمدنيات القديمة الباقية كنوع من الحضارة في صورتها العقلية .اما المثالية المسيحية ، والمثالية الاسلامية فهما مثلان رائعان لازدهار مدنيتيهما في الغرب والشرق على السواء .

اما العامل الثاني فهو التقدم العلمي ، اي ازدياد نمو الانسان لمعرفة قوانين الطبيعة وتطبيقها وتسخيرها لاسعاده المادي ، على ان دوسون يرى التقدم الاجتماعي ومن ثم التقدم الحضاري رهنا بمدى التكيف بين هذين العاملين بحيث يمكن توجيههما ، وبحيث يتكيف كل اتجاه مع الاخر ، دون ان يقوم صراع يعطل قوى التوازن بينهما. فقيام نوع من التوازن ، رغم وجود هؤلاء الناس الذين يستفرقهم العامل الاول، الديني ، ووجود آخرين يستفرقهم العامل الثاني ، المادي ، نقول انه رغم ذلك فان ازدهار المدنية انما يتوقف على مدى ما يمثله المجتمع من توازن يعمل على نمو المجتمع دون ان يعوق طاقة الفكر ، او يعطل طاقة الوجدان ، وهو التوازن الذي من شأنه ان يخلق عنصرا هاما هو حرية التغير .

على ان دوسون يؤمن كذلك بالاثر الذي تحدثه الصلات المادية والثقافية بين الجماعات المختلفة . فانماء المدنية ليس في اغلاقها على نفسها ، ولكن في اتصالاتها بغيرها . وهو يربط العامل الاول (ويسميه تسمية شاملة بالعامل الفكري) يربطه باللغة فهو يتماثل في تفكيره مع العالم الحضاري ريفرز اذ هما يتفقان على ان الجماعة المنعزلة لا تنمو ولا تتقدم ولكن انتشار افكار جديدة وطرق جديدة انما يحدث في المجتمع تركيبا جديدا يبعث على نهضة المجتمع ويقود خطاه نحو التقدم والنماء . والتكوين الاجتماعي يتطلب جملة من العقائد التي تحتوي على قيم يتم الاتفاق عليها ، شعوريا او لاشعوريا ، وعلى نظام اجتماعي مستمر تقوده القوى الرشيدة العاقلة في المجتمع، وللوصول لهذه الغايات ينبغي ان تتغلغل قوة سامية كبرى، عن طريق اللغة ، تعلو فوق الانسان والطبيعة ، الى قلوب الناس . وهذه العقائد هي العقائد الدينية التي ينطوي تحت لوائها النظام الاجتماعي . ويعتقد دوسون ان الجماعة

المرجعان : (١) ابن خلدون — فلسفته الاجتماعية تاليف غاستون بوتول ترجمة عادل زعيتر .

(٢) The Dynamics of World History by Christopher Dawson edited by John J. Mulloy.

التي تؤلف مجتمعا بغير عقيدة انما تشبه جماعة من الزراع يزرعون ويحرثون بدون معرفة لفصول السنة الطبيعية . بل انه يؤمن بأن ازدهار المدنية هي ان تنمو خارج حدودها ليتعلمها غيرها .

ولكي نفهم فكرته عن ارتباط العنصرين المادي والفكري، لنتأمل فكرته عن ارتباط المدنية بالريف .

يعتقد دوسون ان تركيز الحضارة في المدينة انما يتبعه الحط من الاساليب الحضارية في حياة الريف . ويستتبع ذلك حدوث هوة كبيرة بين المدينة والريف . وقد حدث ذلك في اليونان القديمة حيث تقهقرت الارياف مع ازدهار المدن ، ولكن حدث عكس ذلك في روسيا القيصرية ، وفي عهد الامبراطورية الشرقية للاسكندر المقدوني فقد ظل الريفيون متعلقين بتقاليدهم الوطنية ، في حين اتخذ اهل المدن اساليب مدنية استوردتها من الخارج ، وقد تسبب عن ذلك انفصال المدن وانعزالها كلية عن الريف . وتقطعت اسباب اتصالها بالبيئة الطبيعية ، وبالاقتصاد الاساسي الذي يخلقه التفاعل الانساني مع البيئة الجغرافية ، ومن هنا كان سقوط المدن وانهيارها . ان هذا الانفصال المادي عن البيئة الطبيعية ، وهـذا الاعتماد الكلي على افكار واساليب خارجية مستوردة من الخارج تسود المدينة ثم الريف بعد ذلك ، لمن الاسباب الهامة التي يراها دوسون معجلة بنهاية المدنية .

أما العملية التي تعمل على التقدم الاجتماعي فهي حيث تتكامل النظم والتقاليد الريفية مع حياة الناس الفكرية التي نمت بتأملاتهم وخبراتهم واتصالاتهـم وتأثراتهم . فالمدينة يجب الا تفقد صلتها بالريف والحياة الفكرية فيها انما ينبغي ان تكون امتدادا طبيعيا لهذه الصلة الطبيعية . فكأنما هناك اصول لا غنى عنها هي التي تمتد جذورها في التربة الطبيعية ، ولكن الجو الذي تنمو فيه بعد ذلك جو يتميز بحرية التنفس والانتشار الثقافي والنشاط والتغير . اي ان انماء الحضارة واقتباس النظم ينبغي ان يكـون لهما اصل ، او جذر ثابت في البيئة الاصيلة للحضارة ولكي يرقى مجتمع من المجتمعات ينبغي ان تكون الاساليب التي تقرها هذه الحضارة هي الاساليب التي تمثل حاجات حقيقية نابعة من الباطن ، فالمثالية ينبغي الا تعوق الواقعية . والمجتمع ينبغي ان ينعكس سلوكه في نشاط ذاتي نابع من حاجاته الحقيقية ، وخارج حـدود هـذه الحاجات البيولوجية والروحية والعقلية ، تصبح الاساليب لا معنى لها ، تصبح مجرد اعمال رتيبة لا غناء فيها ولا حياة .

واذن فما هي مراحل النمو الحضاري ، حتى مرحلة المدنية في نظر كريستوفر دوسون ؟

ان الوصول الى طريق جديد للحياة او اعتناق نظرة جديدة عن الحقيقة هو لب التغير عند دوسون . والمجتمع يشعر بهذا الطريق او بهذه النظرة اولا كنوع من الصور الالهامية ، قبل ان تدرك بالعقل ادراكا صحيحا . فالفلسفة هي النتاج النهائي لعملية التطور الحضاري وليست هي الاساس . اما السلم الاول في هذه العملية فهو الدين وتليه الحيـاة الاجتماعيـة ، ثم الفـن والادب ، وبعـد ذلك الايديولوجية الفكرية او الفلسفة . خذ فن النحت مثلا ، فالتمثال ، عند الاغريق القدامى ،كان في ذهن المثال صورة ملهمة ، ثم كان حياة عاشها ، ثم صنعها ، ثم في النهاية سار فكرة فلسفية عبر عنها الفلاسفة . وهنا نجد هذه الدورة الكاملة للحضارة اليونانية القديمة : الديـن اولا ويتبعه المجتمع ، ثم الفن ، وفي النهاية الفلسفة ويرى دوسون تماثلا بين المجهود الاجتماعي ، ومجهود الفنان الذي يشكل مادته بنظرته الالهامية لفنه . ففي كل منهما يجد دوسون التعبير الديناميكي المبدع لظواهر الحضارة.

على ان دوسون يربط ايضا بين هذا العنصر الفكري والعنصر المادي للحضارة ، فهو يرى ان اعتماد الفنان على الوسط المادي لا يعد من علامات الضعف او قلة المهارة بل على العكس : كلما ازداد تكيف الفنان مع خصائص الوسط الفني ، وزاد اعتماده عليه ، عظم عمله الفني ، بل كلما ازداد تطابق الحضارة مع الوسط المادي ، كلما ازداد تقدم الحضارة او بعبارة اخرى كلما ازداد التعاون الوثيق بين الانسان والطبيعة كلما ازداد الانعكاس الحضاري . فالفن هو النتاج المزهر للحضارة فهـو يمثل مطامـح المجتمع الاساسية في صورة لماحة او في تعبير مركز هو التعبير الصحيح عن لب الحضارة او هو الصورة الحية المعبِّرة او المعطية اكثر مما تعطي الاحصاءات العديدة . ولن يدرك باحث لخصائص حضارة معينة الا اذا تعمق روحها ببحث اشكال الفنون والاداب التي يعكسها المجتمـع في تلك الحضارة . ومثال ذلك تاريخ القرن الثامن عشر ، فان جوانبه العديدة وخصائصه الهامة لا يستكملها الباحـث التاريخي الا بدراسة تاريخ النقد الادبي للحضارة الفرنسية الكلاسيكية . كما ان تاريخ القرن التاسع عشر ، انما يستمد لبابه من تاريخ الحركة الرومانسية او يدور حول هذه الحركة . ففي نظرية دوسون اذن ثنائيات لا بد منها ، ثنائيات تعد نقاط انطلاق تقدمي ارتبـاط الفكر النامي بالاقتصاد الاولي ، ارتباط المدينة بالريف ، امتزاج العنصر الفكري بالتقدم العلمي والمادي ، التوازن الذي يؤدي الى الحرية في الانتشار الثقافي لانتاج الفـن والادب والفكر الفلسفي .

والان نأتي الى النظرة الفلسفية للتقدم عند الفيلسوف العربي التونسي « ابن خلدون » . ولد في تونس في النصف الاول من القرن الرابع عشر (١٣٣٢) وهو من سلالة عربية حضرت من حضرموت واشتركت في قيام الدولة الاسلامية الاولى ثم هاجرت الى الاندلس . وتقلد اجداده مناصب عظيمة في اشبيليه . ولما مزقت الفتـن مسلمي الاندلس تراجعوا بالتدريج وهاجرت الاسرة الى مراكش اولا ثم الى تونس . وتقلد هو مناصب هامة في

البلاط حيث اشترك مع الاسرتين المالكتين المتنازعتين (الحفصية ، وبني مرين) كما اشترك في المؤامرات ، وسجن ويقال ان في سجنه كتب مقدمة ابن خلدون ، وهي في تاريخ تلك الحقبة من التاريخ الاسلامي لتونس ومراكش والاندلس . ويعد ابن خلدون واضعا لاسس علم الاجتماع الحديث بالاضافة الى كونه اكبر المؤرخين العرب الذين استقى منهم فلاسفة الغرب . وتتلخص نظرته في التقدم او التطور الاجتماعي فيما يلي :

١ — الاقتصاد : اساس من الاسس الهامة التي تؤثر على الامة . فابن خلدون من هذه الناحية يعد من اوائل الذين نادوا بمبدأ هام اتخذه الماركسيون حجر الزاوية ولكنه يتقابل فعلا مع دوسون ، لانهما لا يجعلان الاقتصاد هو الاساس الاوحد .

٢ — التربية والاكتساب ، لا الوراثة ، هما العاملان المهمان في دفع عجلة المجتمع نحو التقدم . ومع انه يفرق بين سكان الحضر ، واهل الريف ، والبدويين من حيث الشجاعة والعصبية والقتال الا انه يقف الموقف الذي يميل به للاعتقاد بأن التغيير الاجتماعي رهن بالتربية المكتسبة فهي التي تقرر معتقدات الافراد وميولهم اكثر مما تفعل الوراثة كما ان ابن خلدون لا يحتمل ابطالا مثل ما فسر كارليل .

٣ — الاعتزاز بالشرف والانتساب للعصبية، هما اللذان يدفعان زمرة من الناس الى ان تقوم وتقتتل وتفرض سلطانها وتتسلم زمام الحكم . فالعصبية (وهي عنده عنوان الشرف الوحيد) هي المحور الذي يقوم عليه اساس البيت المالك او الاسرة السائدة .

لقد كان ابن خلدون في عصر لم تعرف فيه القومية بل كانت اوروبة تئن من حوله تحت نير الاقطاعية . ويمكن ان ندرك ان مثل هذا التفكير يمكن ان نمد مقدماته ليكون ارهاصا لمعنى اعم هو (القومية) ، لانه يوحي بسيادة اكبر وعصبية اعلى وشرف اسمى وارفع هو القومية التي لم يكن تبلور لها اي مفهوم .

٤ — لا تقوم فلسفة التاريخ وحدها عند ابن خلدون على تطور العصبية ، بل يترتب على هذا التطور ايضا ما يقع من تغيير لا ينقطع في حال الناس وهو ما سماه باريتو (دورة الخواص) اي الارتقاء الاجتماعي لبعض الافراد او الاسر . ولهذا الرأي صلة بازدرائه للفرد وبتفكيره في أهمية الجماعة الانسانية ، مماثلا في ذلك لتفكير كثير من علماء الاجتماع فيما يسمونه العقل الجمعي وهو يرجع ضعف بيت مالك ، ووهن جماعته ، ومن ثم انهزامه الى عوامل التواكل في الحكم والى الاخذ بأسباب الترف والنعيم وفقدان العصبية ، كما يرجع انتصار بيت مالك اخر الى صلابة الخلق وقوة العزيمة وشدة التعلق بالشرف والايمان بالعصبية ، والعصبية عنده تبنى على التضامن .

٥ — ان نظرة ابن خلدون جبرية ، في اطار العقيدة الاسلامية) من ناحية الايمان . ولكنه يؤمن بالتربية والتعليم والاكتساب لانها وسيلة التقدم ورغم جبريته فهو يعتبر ان الحرب لا بد منها لا التواكل ، لكي ينتصر الفريق المعتز بشرفه المفتخر بعصبيته وهو في هذه الجبرية (في اطار العقيدة) والقصدية في الايمان بالحرب لنصرة العصبية .. يلتقي بعنصري دوسون ، وان كانا مختلفين في التشكيل العام .

٦ — فابن خلدون يرى ان عصبية القبيلة (وهي ناتج اقليمي) وان الدين (وهو قوة عالمية) عنصران فاعلان في التاريخ وفي تقدم الجماعة . ففي ارتباط العشائر حول الدين انماء للحضارة وسبيل لازدهار المدنية وفي فشلها فشل للمدنية ذاتها .

وفي منطق ابن خلدون التقاء بكريستوفر دوسون ، ففي منطقه ثنائية تجمع بين الدين والشرف والعصبية (العامل الفكري) الى الاستثمار المادي والاقتصادي (العامل المادي) ، وهي ثنائية تقابل ثنائية دوسون وفي منطقة كذلك وجود ذلك التوازن الذي يحمل في طياته حرية التغير ، ولعل ذلك يتقابل مع قول النبي العربي الكريم .
« ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

بورسودان — اميل توفيق

القمر والاطفال

ماذا يريد القمر
من ازقتنا الضيقة
انه يحبو
على ركبتيه
المخضبتين بالدم
القمر ... القمر ...
لقد تراكض الصبية الحفاة
ومزقوا باقدامهم
احشاء الطين
وارتعش القمر الابيض كالجين
وغاصت اقدامه
في الاوحال

... وترنحت هنيهة ...
وعانق القمر الاطفال ...

برن — ناصر بوحيمد

من مجامر الصخور

« مجامر الصخور » كتاب معد للطبع يضم مختارات كتبت بين ١٩٤٦-١٩٥٢

بقلم ثريا ملحس

●

ساعة من ساعات الزمن البعيد ، تمر ببالي عاصفة . ساعة اخذتني رجفة الاحلام .

تسري في الليل ، وتخيم علي في الدغشة ، كأنها اراقم تسعى ، تنفرد ثم تلتوي ، ثم تعقلني ، واصبح سجينة الدجنة ، بعدما كنت صديقة النهار .

يا لها من ساعة مرعبة ، ويا لها من هول زاحف يطرق طرقا على وجودي ، واسمع زئير العقد ، تنشد على جسدي ، حتى تصيرني ذرة ، حبة ، ثم تكشف امامي طريقا لا نهاية له ، وترفع ستائر ذاتي ، فارى ما ارى ، ثم احدق ، ابحث عن جسدي ، فاذا هو بخار ، بخار يلتف على بخار .. اشباح تلتوي امامي ، تفرش لي الدروب ، وتقيم عرائش من العناقيد .

مر مارد اسود ، سأل عني ، اقترب مني ، ونفث في العقد ، فانفردت على ذاتي ، اسمع دبيب النمل ، اماه ، اماه ، أين انت يا اماه ؟

احملي القنديل ... انيري ظلمتي

اطردي الاشباح ... فكي العقد

روحي حلت في هيكلي

✶

حللت في قلبي يا الهي ، والدقيقة قدست

اراك قريبا، قريبا الى روحي، اراك في كل شيء

اراك في الملوك والصعاليك

اراك في الدوحات والاعشاب

اراك في القصور والاكواخ

انت صديق ابناء السعادة ... انت صديق ابناء الكآبة

انت حبيب ابناء الكآبة والالام ، يذكرونك في كل سجدة ، وفي كل ركعة ،

ابناء السعادة ، أتراهم يذكرونك في كل نعمة وفي كل خير ؟

استمد قوتي منك

لك يا الهي ما شئت ، فانا امامك تمثال وانت فنان خالق ،

اجعلني فنانا لاحطم الاصنام

✶

اسقني يا الهي من عصارة السماء ، اسقني فانا فاغرة فمي ، لا اخاف ، لا اخاف سحابة حمراء تندف على خيمتي ، اتركها تلوح ، لا تنثني .

نقطة منها على راحتي ، تحرك اناملي الجامدة يا لها من ثانية ، اقبل عليها بقوة العاصفة انزلها من السماء ، من خلايا الالام

✶

... من أي شيء تكونت ايتها الحرية ؟

من أي عالم تدحرجت ، حتى اصبحت امامي ، كيفما وجهت شطر وجهي ؟

هل انت قوة قاهرة ؟ هل انت عيون ساحرة ؟ من انت ؟ ومن أي عالم تدحرجت ؟

نحن خلقنا من التراب والى التراب نعود .

وانت خلقت من النور والنار واليهما تعودين .



لولاك ايتها الحرية ، لما شعرت بذاتي

كل فنان يترنم باسمك

كل كتاب يخلد اسمك

انت كعبتي .. انت قوتي

ارى حولك ابطالا صرعى ، فلادتهم كنت

وارواحا هيمى ، شددتها اليك

فسارت وراءك ، وتمخضت بالجما ل

فكان اولادك: الشعر والرسم والموسيقى والنحت امام هيكلك ايتها الحرية .

يسجد الانسان، كله الام، ليقع على بابك الخلود

✶

في زاويتها لانها عمياء .

بعيدة عن البشر لانها مجنونة

همسات تعاو ، واواذي البحر ينطوي

اما رياح الصحراء فمشغولة بين السهول والتلال ، تستقبل القمر ...

والفراشات تفب من الزهور

تحوم حول النور ، وتذوي واحدة ، واحدة

والزهور تذوي على ذاتها ، والنسيم ينتصر بالعبير ...

اما الاشجار فتلتف وتتعانق

تحجب عن زاويتها النهار ، لئلا تسمع الهمسات المتصاعدة ، من الناس ومن الطبيعة

✶

... وحدي ... وحدي ، مشيت على شاطىء الزمان

في ليلة قمراء ، وضوء البدر يداعب صفحات الامواج

ريح الصبا كاللص يحبو على ركبتيه ، يلم من صدر الزمان شعاعا

فترمش عيون الامواج ، وتشد الريح الى صدرها وتلتوي

ساد الكون سكون

واختنقت الينابيع

وجمد النور

جلست على شاطىء الزمان

فانمد الى القمر خيوط ، منها الشعر ومنها الوتر ، وتر القيثار

غنى الليل تحت اقدام القمر

غاب القمر ... غاب وراء امواج الزمان



بقلم محمد رجب البيومي

كانت سميحة تتقلب على فراشها قلقة ساهدة ، وانها لتتلمس النوم بكل ما وسعها من جهد فلا تستطيع فأفكارها تشرد بها فوق الفراش الى آفاق كدرة عابسة فهي تلجها في توجس واشفاق ، وتكاد تحس بأحشائها تتقطع اسفا وحزنا حين تذكر ان زوجها الحبيب قد بدأ ينصرف عنها انصرافا يتزايد مداه بمرور الايام ، فقد كان في عهدها الاول عقب اقترانها الباسم يبذل قصارى ما يستطيع في امتاعها بالحب والسعادة والصفاء ، ثم اخذت الايام توهي من حبه وانجذابه شيئا فشيئا ، وقد والت مرورها السريع فأطلعته على ما لم يكن يتوقع ، وتأكد ان زوجته عقيم لا تلد ، وهو من نفسه ـ كما يلوح لها ـ في اضطراب وضيق ، يحاول ان يجد السبيل الى فصم علاقتهما محاولة تظهر دلائلها في تأخره وابتعاده ، وها هوذا الليل قد بسط جناحيه على الكون فلماذا لا يسرع بالعودة الى المنزل كما يسرع الازواج السعداء ! ! انه ينتحل شتى المعاذير في كل يوم وقد كان في أيامه الاولى دائم التردد على المنزل في النهار ، سريع الوصول اليه اذا انتهى من عمله قبل ان تغرب الشمس ، فلماذا لم تكن لديه من الاعذار مثلما يتعلل به اليوم من اسباب ! ومن يدري فلعله مخلص فيما يدعيه، ولكنها تتطلب الدليل المطمئن ، فتعتورها الشكوك وتشرد بها الاوهام ، حتى اذا سمعت صوت المفتاح يتحرك في باب الشقة تأكدت ان صاحبها قد اقبل ، فتظاهرت بالنوم ، واجتهدت الا تتحرك ذات اليمين وذات الشمال لتنظر ماذا يصنع اذ يجيء ! لقد كانت تتمنى ان يوقظها برفق ليقضيا معا وقتا تسوده البشاشة ، ويضيئه الابتسام ، ولكنه يعجل بخلع ملابسه ثم يرتمي جوارها دون ان يبدي رغبة في السمر والحديث ، أتراه يضيق بها فيود ان ينقذه النوم من ثرثرتها الجوفاء ، أم تراه قد آثر راحتها فتركها تنعم بما ينعم به النائم المستريح ، انها لا تتبين حقيقة امره فهي تفسر كل ما يقوم به تفسيرا يحتمل النقيضين ، ثم تترجح لديها النظرة المتشائمة، فتنطوي على نفسها شاكية باكية ، وقد غرق زوجها في رقاده ، وهي ما تزال تعلل وتحلل حتى يسعفها النوم بعد جهد ناصب فينقذها من شجنها الاليم .

واقبل والدها سعيد في الصباح فأيقظها من النوم متلطفا ، واستقبله زوجها خليل مرحبا مكرما فعرض عليه ان يأذن لسميحة بالذهاب الى منزله لان امها تحتاج اليها في بعض الشئون ، وسارع الزوج فعجل بالقبول دون تردد وامهال ، وسمعت سميحة الحديث فاضطربت عواطفها اضطرابا حائرا ، فهي تظن تارة ان زوجها يرحب بابتعادها كي يجد بعض الراحة حين يغيب وجهها عن البيت ، وتظن تارة اخرى انه يجيب رجاء والدها اعزازا له واحتفاء به ، وهي على عادتها لا تقطع برأي فيما يعترضها من الاحوال ، فتظل مرتبكة حائرة تتقاذفها الشكوك ، حتى اذا سمعت والدها يستحثها على الذهاب معه ، اخذت عدتها السريعة وخرجت معه في قلق واكتئاب ! !

لم يكن منزل سعيد في ذلك اليوم مثابة للراحة والهدوء ، فولده رشاد مريض طال به السقام ، وقد توافد عليه الاطباء رجلا خلف رجل فما بلغوا منه مبلغا يذهب الضنى ويعود بالرجاء ، وكان العائدون من الاصدقاء يزيدون من قلق الاسرة وارتباكها ، فكل زائر يتعصب لطبيب خاص ، ويصب لعناته على من تقدمه الى رشاد ، ثم يلوم سعيد ان تباطأ عن استعداده ، فيصدع الوالد الحائر بالامر ، ويأتي الطبيب الجديد ليكتب تذكرة مليئة بأصناف الدواء ، وتمضي الايام فما تظهر على المريض النائم بارقة تشير الى الشفاء ، حتى استيأس الرجل واسلم امره الى ربه وقد انخرطت والدة المريض في بكاء مرير ، فرأي سعيد ان يستدعي سميحة لتبعث في قلبها العزيمة وتمسح من دموعها ما تستطيع ، وقد حضرت الفتاة وشاهدت نحيب الام الشاكية ، فنسيت شجونها الخاصة قليلا ، واندفعت الى والدتها الجازعة تبسط في عينها الامل وتعدها بالشفاء !

ذهب سعيد ليصلي الظهر بالمسجد ثم رجع مع شيخ وقور ترتفع على رأسه عمامة بيضاء وتدور حول وجهه لحية سوداء وقد تألقت به عينان نافذتان يرسلهما في هدوء كمن يكشف سرا مستكنا وراء الحجب والاستار ، ثم دنا من زوجته وابنته فاخبرهما ان بعض اصدقائه في البلدة قد احضروا اليه هذا الرجل الصالح ليقرأ على رشاد بعض الآيات



وهو لا يطلب اجرا ما قبل الشفاء ! وقد انقذ الله على يديه اناسا كثيرين فلعل بركته الطيبة تفعل ما لا يفعله الطب الحديث ! وقد استبشرت الام بالزائر الجديد ، ونفذ الى قلبها شعاع من الامل الرقيق ، اما سميحة فقد اختلجت في نفسها نوازع مبهمة حائرة ، فهي مرة اولى تنكر ان يحيط هذا الشيخ المعمم بما يجهله الاطباء المتخصصون ، وهي مرة ثانية تعترف ان عناية الله تلحق كثيرا من الناس فينكشف امامهم الغطاء ليروا ما لا يراه المهرة المحنكون ، ثم تجد الفتاة حرص والدها البالغ ، واذعان والدتها المستبشرة ، فتجتث شكوكها فجأة وتتوقع الشفاء ! !

تقدم الشيخ فقرأ بعض الرقى المبهمة ، وطلب موقدا هادئا فقذف فيه بقليل من البخور والاوراق ، واخذ يتلو بعض التسابيح المجهولة في غمغمة لا تبين ، ثم تقدم الى الماء فتوضأ وصلى ركعتين خفيفتين ، وهم بالانصراف بعد ان اوصى باحراق البخور والورق عشرة ايام متواليات .. واعلن ان المرض سينقشع بعد اسبوع او اسبوعين ، وانه ينتظر الوفاء بالعهد ، فيأتي اليه سعيد بما تسمح به نفسه من الاجر ، ويزوره في معتصمه بالجبل مبشرا بالشفاء !

كان المريض اذ ذاك قد تناول من الادوية الطبية ما يكفي لاستئصال دائه ، وقد صادفته زيارة الشيخ وهو يخطو الخطوة الاولى للبرء دون ان يحس احد بتقدمه البطيء ، بل أن اشفاق الاسرة وجزعها اللهيف قد غير في عينها الوضع ، فلم تلحظ ما طرأ من التقدم النسبي ، ولكن رجاءها في الشيخ قد قضى كثيرا على عوامل الجزع واللهفة ، فأخذت ترى بالعين الصادقة بوادر الشفاء ! غير انها قد نسبت كل نجاح الى الزائر الاخير فواصلت احراق البخور والاوراق في دأب حريص ، وما انقضت الايام الموقوتة حتى مشى رشاد على قدميه ، وبعث في المنزل الموحش ، ما يبعث الربيع الناضر في الدوح الجديب من ثمر واوراق .

ابتهج سعيد بما رآه ابتهاجا طار به في كل أفق فعجل في سرعة نشيطة بزيارة الشيخ في معتصمه الموحش بالسفح وقد أكب على يديه لثما وتقبيلا ، ثم انكفأ على قدميه يحاول ان يحظى بتقبيلها حظوة تقربه الى الله ، ثم ألح في استدعائه الى منزله الحاحا قابله الشيخ بالاباء والاعراض أول الامر ثم رأى ان ينزل على رغبته تفضلا وتواضعا ، فرجع معه ليجد الزوار يملئون المنزل مكبرين مهللين، وقد تبوأ الشيخ فيهم موضع الاجلال والمهابة، واصطنع لنفسه رسوما ذات حدود وقوانين فهو لا يسمح لاحد بمقابلته دون تحديد موعد خاص ، واحاطة بمضمون الزيارة قبل المشاهدة ، وهو اذا سار في الطريق الى

المسجد تبعه الحشد الحاشد للتبرك والاستهداء ، دون ان يجرأ احد على تقدمه او السير بحذائه ، وهو اذا اقام بعد العشاء حلقة ذكر بالمنزل اخذ العهد على كل ذاكر ان يصوم الاثنين والخميس من كل اسبوع ، اما المرضى فما اكثر ما تركوا نصح الاطباء واماكن الاستشفاء وخفوا الى عيادته آملين واثقين ، وقد جلس الشيخ مرة مع بعض مريديه فخاض الخائضون في ذكر الاطباء اللامعين بالقاهرة ، واطرق الشيخ ساعة يستمع ، ثم ضرب كفا بكف فخشعت الاصوات واتجهت العيون والآذان الى الرجل المهيب ، فقال وفي فمه ابتسامة : اتعرفون عمدة الكفر الجديد فصاحوا جميعا نعرفه دون انكار ، فقال الشيخ : ذهب منذ عشرة اعوام الى الدكتور علي باشا ابراهيم فاجرى له عملية جراحية وترك المقص بداخل جسمه فكان ينقص عليه هدوءه ، وذهب المريض اليه ثانية فاعتذر الدكتور عن اجراء عملية اخرى حرصا على حياته ، ثم جاءني ... وسكت الشيخ ! ! فصاح الجميع : بحياتك الا اتممت الحديث ، فقال الشيخ في تذلل مصطنع ، وضعت يدي على قلبه وقرأت بعض الآيات فذاب الحديد وتحول الى ماء مع الفضلات فارتج المجلس بالاعجاب وصاح الحاضرون أنت الطبيب ! !

كانت سميحة ترى طوائف الزائرين من المرضى يفدون الى منزل والدها ، فيجدون لدى الشيخ شفاء لامراضهم المستعصية ويتشرون في القرية الاعاجيب الخارقة عن مقدرته وحذقه ، وانها لتذكر ان والدها كانت منذ شفى الله اخاها على يديه تود ان تعالج ابنتها من العقم البغيض ، فكيف تغافلت عن هذا الامر الخطير ؟ وهو لا يكلفها شيئا غير ان تبسط كفها للرجل لحظة او لحظتين فيقرأ في خطوطها ما استتر ثم يشير بالعلاج الناجح، ليسعد بال الزوج فما يكدرها بنظراته الباردة وذهوله المريب ، لتذهب الى بيت ابيها زائرة مشتاقة ، ولتسر الى والدتها بما تريد فسرعان ما يبتسم الحظ ويشرق الرجاء ! ! وكأن الاقدار كانت تهيء الفرص السانحة لهذا العلاج الحبيب ، فقد هجس هذا الخاطر بعينه في نفس الوالد فتحدث به مباشرة الى الشيخ، ووجد من اقباله واستعداده ما بسط وجهه بالبشر والضياء ، فلم تكد سميحة تذهب الى منزل ابيها حتى اقتادها الى حجرة الطبيب! فوقعت عين الشيخ على فتاة فارعة ، صبيحة الوجه ، مسدولة الغدائر ، وقد جللها شحوب هادىء يزيد من فتنتها الطاغية ، وفي نظراتها تساؤل ينفذ الى الاعماق فيوقظ الكوامن الدفينة ، وانه ليلمس كفها الناعمة ليقرأ خطوطها ، فيجد دفئا هادئا لم يعهده ، ويستمع الى صوتها الناعم فتهزه اوتارشجية تخدر احاسيسه ، وقد انقطع عن الحديث فجأة ثم اعلن العزلة كعادته ، ليجد الحل الحاسم بعد ان شخص العلة المزمنة ،فخرج الاب وابنته وهما الى الرجاء المشرق اقرب منهما الى سواه ، بل ان الاب كان يتردد لحظة في نجاح مهمته ، وان كانت فتاته تضطرب هواجسها بين النجاح والاخفاق .

لقد حاول الشيخ ان يجد بعض القرار لنفسه في عزلته الهادئة فلم يستطع ان يقاوم عواطفه الثائرة ، فكان غريقا في لجج من خواطره المتضاربة فهو من ناحية اولى يضع نفسه بين الناس موضعا لا ترقى اليه الشبهة بحال ، وهو من جهة ثانية يستشعر في نفسه دينا ثقيلا لهذا الذي آواه في منزله فاطعمه من جوع ، وآمنه من تشريد ، ثم هو ثالثا لا يقدر على تسكين هذه الزلازل الثائرة التي انقضت عليه فجأة حين شاهد سميحة فدمرت كيانه، وزعزعت وقاره واتزانه، وانها لتكتسح امامها ما قد يشير به العقل من ترصن واتزان ، وها هو ذا يصفق على يديه بدون شعور ، فيتسمع اليه سعيد ، ويظن انه يدعوه بالتصفيق كعادته فيسرع عاجلا كمن ينتظر سماع بشارة سارة ، ويجد الرجل صاحب البيت امامه وجها لوجه ، فيتدارك الامر ويعلن انه قد دعاه لسؤال هام يتعلق بزوج الفتاة ، ويبدي الوالد استعداده للاجابة الصريحة دون لبس وتدليس، فيسأله الشيخ في وقار عن علاقة الزوج بربه ، فيقول الاب : انه رحيم محسن مصل صائم ، ولكنه يتعامل بالربا في بعض الاحيان! فيصيح الشيخ في افتعال : لا حول ولا قوة الا بالله ! ! هما خطران كبيران ! خطر في الارض ، وخطر في السماء ! ! فيذهل الاب المتطلع ، ويقول في ضيق مفزع : لا افهم شيئا ، ابن يا مولاي .. فيتصنع الشيخ بالهدوء ، ويبتسم ابتسامة معبرة ، ويدعو صاحبه باشارة من يده الى السكوت ثم يقول :

حين قرأت كف سميحة تأكدت ان خطرها من الارض اذ انها في ماضيها الغابر قد ألقت ماء ساخنا ذات مساء في طريق مظلم دون ان تردد اسم الله فوقع على اخت جنية فتلبستها وعاقت حملها عن التمام ، ثم رأيت خطوطا غريبة غير التي اعهدها فعرفت انها بسبب معصية الزوج ، ثم سألتك عن امره ، فعلمت ان الله آذنه بالحرب كما يقول في كتابه العزيز : ((فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ! وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ! ! وقد حاربه الله في نسله ، فلن ينجب الا بمعجزة ، ولو تزوج ألف فتاة ! !))

ذهل سعيد لما سمع ، وترقرقت في عينه دموع اخذت تنهمر بعد حين ، فتظاهر الشيخ بالعطف والاشفاق ، وربت على كتفه قليلا ، ثم قال : سيهون الخطب باذن الله ، وسندفع اولا خطر الارض لنفرغ الى خطر السماء .

قال سعيد : وماذا نفعل الان ؟ فقال الشيخ : اذا صليت العشاء ، فهات ابنتك ومعها زوجها دون ان تعلمه باني وقفت على معصيته وساطلق البخور واقرأ الرقي واتلو ما تيسر من القرآن، ثم تنتهي الخطوة الاولى بسلام ، فقال الوالد، وماذا تفيد الخطوة الاولى وامامنا خطر السماء؟ فضحك الشيخ كالمستهزىء ، وقال مهلا يا مجنون ، فلله شفعاء !! يفعل ما يشاء ، ثم انحرف بظهره متوجها الى القبلة فعرف سعيد ان النقاش قد انتهى ، فخرج في ادب وخشوع لينقل الى الزوجة ما كان !!

وفي المساء حضر الزوج كما امر ، وقد جلس عن يمين الشيخ ، وحضرت سميحة لتأخذ مكانها عن يساره ، وقعد سعيد وزوجته امام الرجل ، وبينهما موقد صغير تتساقط عليه انواع مختلفة من البخور ، بعدها الشيخ في هدوء ، ثم يضعها في كف سميحة تاليا متمتما ، ويتناولها بعد التمتمة فيقذف بها الى النار ، والقوم منقادون مستسلمون وكلهم فرح متفائل ، حتى اذا انقضى الوقت اذن الشيخ فانصرفوا جميعا وبقي وحده ليستكمل مراسيم العلاج ودعوات البيت تتصاعد من كل فم ، هاتفة له بالنجاح ، وعبارات الاعظام تتردد معجبة بهذا القديس الطاهر وكأنه في مرأى القوم نبي ملهم ، يأتي بالمعجزات ابتغاء مرضات الله .

وفي الصباح طلب بعض الاوراق وشيئا من ماء الزعفران ثم اخذ يخط دوائر مقوسة معوجة ويكتب حروفا لا تنم عن شيء فاذا انتهى من شأنه طواها في عناية واهتمام ، ووضعها في حافظة قوية من الجلد ، وخاطها بيده في دقة واحكام ثم سلمها الى سعيد وقد افهمه ان الارواح قد استجابت نداءه فتعهدت بحفظ الفتاة وسلامتها من كل ارضي عابث وقد كتبت هذا الاقرار داخل الحافظة ووقعته مصممة على تنفيذه ، وانه ليطلب من سميحة ان تحمله فوق صدرها ليصبح وثيقة محترمة تذكر بالعهد الاكيد .. ثم قال الشيخ في هدوء : لقد انتهى خطر الارض وامامي اسبوع كامل ادبّر فيه خطر السماء ، فقبّل سعيد يد صاحبه ، وحمل الحجاب مكبرا معظما ، ثم خرج الى اهله ليمهلهم اسبوعا طويلا يجد الشيخ المبارك فيه فرجا من ضيق ، ويسرا من عسر .. فانتظروا آملين .

اخذت سميحة الحجاب فوضعته حيث اشير عليها ان تفعل ، وخلت الى نفسها تفكر في اليوم المشئوم الذي القت فيه الماء الساخن

على الارض في الظلام ، دون ان تهتف باسم الله ، فلا تستطيع ان تحدده ، فهي من يوم نشأتها مترفة ناعمة لا تحمل كفيرها من القرويات ماء لتقذف به في الطرقات ، وابوها بالنسبة لاهل القرية رجل ظاهر المكانة ميسور الحال ، وقد عاشت في كنفه لاهية مخدومة، ثم انتقلت الى زوج يفوقه يسارا ونعمة، فجمع لها الخدم خارج البيت وداخله ، فمتى كان ذلك اذن ؟ ثم يهمس في نفسها خاطر مضاد يقول : لعل ذلك كان في طفولتها البعيدة حين كانت تعبث بكل شيء لاهية عن عقباه ، وتمضي في تفكيرها فتقول ، وما يضر لو اعتصمت بهذه الحافظة الصغيرة . فقد احتفظ المرضى بمثلها فنشطت اليهم الصحة والهناء ، ثم تنتقل بظنونها المختلفة الى زوجها فتتساءل عنه ضائقة بجموده وغموضه فهو لم يتحدث معها قليلا او كثيرا في امر الشيخ ، أيكون ضائقا بها برما بمقامها ، فهو لا يريد لها ان تنجب الاطفال ، ليكون طريق الخلاص سهلا ميسورا ، انها لتعرف كثيرا من الازواج كان عقم الزوجة وحدها سببا كافيا لديهم لفصم هذه العلاقة الوثيقة ، أفيكون الرجل من هؤلاء ؟ ولكنه كما تلمس وتشهد لا يقصر في امر تطلبه فهو يحضر جميع مشتهاها في خفة واسراع ، ولا تذكر انه ابطأ ذات مرة في تنفيذ رغبة، لعله لا يريد ان يحرج شعورها حين يتحدث اليها في امر كهذا الامر ، فآثر السكوت وقنع بالتجاهل والاغضاء ، مهما يكن من شيء فقد ظلت سميحة في لجة عارمة من الافكار المشتبكة وهي من حيرتها المدهشة لا تستقر على وضع ، فلا تكاد تبلغ شاطئا من الشاطئين المتباعدين حتى يردها الموج الى العباب الهائج وسط المحيط الزاخر.. وكم قضت الساعات الطوال تصارع اللج فتعلو فوق الزبد تارة ، وترسو تحت العباب تارات ، حتى ينقذها النوم بعد لأي فتستريح .

هذه هي سميحة !! اما الشيخ فقد كان دائم الاطراق شارد التفكير ، واتباعه ومريدوه يعتقدون انه يسبح في عالم علوي طاهر تتساقط في ارجائه الرجات ، والملائكة حافون من حوله يسبّحون بحمد ربهم ، فهو يرى ما لا يرون ويسمع ما لا يسمعون ، وقد كان الشيخ يرى ما لا يرون حقا فهو يفكر في هذا الاسبوع القصير الذي ضربه مهلة وافية ، للنتيجة الحاسمة ، وكان يسأل نفسه : كيف أتسرع دون روية !! ثم يسترجع ما مر به فيعلم انه اخذ على غرة، فقد فاجأه سعيد بالدخول فقرر ما قرر دون تؤدة واحكام ! ويعود اليه صوابه شيئا فشيئا فيقول انه حدد اسبوعا واحدا ليجد المنفذ ، وفي امكانه ان يرسم خطة الحل فيجعلها طويلة تستفرق الشهور والاسابيع ، ولن يثير ريبة احد ، فالامر امر السماء لا الارض ، وهو واسطة بين العبد وربه ، وما أهوله موقفا يتطلب الشهور لا الايام، ثم يجابه المشكلة في صميمها فيتساءل : كيف يأتي بحل معقول تؤكده السماء عن مشاهدة وعيان ! ؟ أهناك رسول معترف به يتردد بين السماء والارض فيكلمه في معضلته ، ويشير عليه امام الناس بما يجب ان يكون ؟ واذا امتنع هذا الرسول أفلا يمكن ان يكون كتاب الله هو ذلك الوسيط .. ولماذا لا تتوضأ سميحة امامه ليتأكد من طهارتها ، فيرى الماء يتساقط على ذراعيها البضتين ، ويسيل من وجه الى قدم ، ثم تنهض فتصلي ركعتين طويلتين تقرأ فيهما فاتحة الكتاب عشر مرات فاذا فرغت من عبادتها تقدمت اليه في خشوع ، وجلست على السجادة الطاهرة وقدم اليها كتاب الله لتفتحه، ولا بد ان هناك آية تكون في اعلى الصحيفة او اوسطها يمكن ان تفصح عن رغبة السماء فتكون تكأة الى ما يريد ، والرجل كما اعتاد في هذه المواقف ذكي حصيف يستطيع ان يشرح كتاب الله كما يريد ، لا كما يريد المفسرون فيستنتج ما شاء كما شاء ، ومن حوله في جهالتهم الساذجة اميون مستلمون!! وكلما زاد كتاب الله بعدا عن مداركهم الضئيلة زادوا اجلالا ورهبة ، والشيخ يعرف ذلك ويتأكد منه ، فلماذا لا يبدأ الخطوة الثانية في تأن وثبات ! هذا ما يجب .

مضى الاسبوع سريعا كلحظة او لحظتين على نفس الشيخ ، بطيئا كعام او عامين على نفوس القوم ، حتى اذا دنت الساعة المحددة تحاشى سعيد ان يبدأ الرجل بما يريد ، فكان ينظر اليه كمن يهم بالسؤال عن امر تقف دونه العقبات ، وتتزاحم الحوائل فلا يجد السبيل ، والشيخ يلحظ ذلك فيبتسم ابتسامة المطلع البصير ، ثم ينظر اليه في عطف وحدب كمن يدخر سرا جميلا يعقبه الفوز والنجاح ، حتى اذا برح السكوت بسعيد ، ورنح التيه من عطف الشيخ فاجأه بقوله : لقد وجدنا الحل اليسير وستتكلم السماء !!

قال سعيد ـ وقد تقدم من صاحبه وقبّل راحتيه كما اعتاد ـ الامر امرك يا سيدي ، فقال الشيخ : ستأتي سميحة وتتوضأ وتصلي ثم نحتكم الى القرآن ، فلم يفهم الوالد شيئا مما سمع ، ولكن ثقته البالغة في صاحبه اطلقت لسانه بالدعاء ثم سأل عن الموعد المحدد فعلم انه في الاصيل .

وكما اشار الشيخ جاء القوم جميعا ، سعيد وزوجته وسميحة وزوجها ، وانكب الشيخ على صلواته فلم يلتفت الى أحد حتى اذا انتهى من امره بعد امد ، طلب ماء الوضوء فتوضأت سميحة وتوضأ الجميع ثم أم القوم لصلاة المغرب وفرغ منها ليقدم الى سميحة كتاب الله ، فتفتحه في رهبة واعظام ، وتعطي الصحيفة الى الشيخ فيصيح في لهجة سارة : ما شاء الله ، ما شاء الله ، اقرءوا اقرءوا ، « والعاقبة للمتقين » الحمد لله رب العالمين .

غمرت القوم نشوة بالغة ، فقد خيّل اليهم ان الله قد بعث ملائكته لتبارك رغباتهم اجلالا لمكانة الشيخ الامين ، فأكب سعيد على يديه وقدميه لثما ، والرجل يحوقل ويتمتم ويقول: لا نقدر على مكافأتك يا سعيد ، فقد نزلنا لديك أهنأ منزل واطيبه ، فيرد سعيد مأخوذا : انا الذي لا اقدر على مكافأتك يا سيدي فقد شرفتني بالبقاء لدي وجعلت منزلي المتواضع قبلة الناس ، ووالله ان الخير زاد بقدومك فكثر الزرع وسال الضرع ، وعم الثراء فيطرق الشيخ ويتلو قول الله : «وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزّله الا بقدر معلوم» ثم يقول لسعيد : لقد دنا الشهر الجديد ولم يبق على طلوع الهلال غير يومين سأذهب فيهما الى منزلي بالجبل لافرغ للعبادة، فما أكلم من احد، وسآتي مع الهلال لابدأ العمل دون كلال ، ... فيوافق سعيد ومن معه في ثقة ، ومن الذي يقدر على الاعتراض ؟ ثم ينقضي الليل ويشرق الصباح ، فيسير الشيخ الى مقصده وقد بسط الامل ومد الرجاء .

وغاب الشيخ يومين ، وحين رجع كوعده لم يصدّق القوم أعينهم ، واندفعوا اليه مهللين مرحبين ، وكان زوج سميحة في مقدمة المستقبلين وقد خصه الشيخ بكثير من دعاباته وابتساماته .. حتى اذا انصرف العامة من مجلسه اومأ اليه فانتظر ثم نادى سعيدا فحضر ، وطلب في بساطة ان ينتقل الى منزل الزوج ليواصل توسلاته وتسبيحاته، في حجرة النوم على ان يستمر هذا الجهاد المتواصل في الذكر والتسبيح ثلاثة اشهر كوامل ، ثم يأذن الله بالفرج القريب ، وقد اشار الشيخ على خليل ان يتقدم بدعوته الى منزله امام الجمهور كيلا يفطن أحد الى حقيقة السر المقدس الذي يقوم به تقربا لله وحده وارضاء لعاطفتين نبيلتين في قلبي زوجين حبيبين ، وهنا قال سعيد : عزيز علي ان تفارق منزلا غمرته بالبر والخير ورفعته بين المنازل الى أسمى الدرجات ، وعزائي انك في منزل ابنتي وسأكون دائما معكم كيلا يفوتني شرف الصحبة والخدمة ان شاء الله ... فابتسم الشيخ وأطرق الى الارض وفي نفسه شجون ثائرات..

وما كادت صلاة العشاء تتم حتى خرج الشيخ من المنزل متوجها الى منزل خليل تلبية لرغبته ، وامامه جمع حاشد من مريديه ، في موكب حافل تظلله البيارق وتضيئه المصابيح ، وهم جماعات منوعة فيهم من يقرأ البردة ، ومنهم من يتلو دلائل الخيرات ، وفيهم من يقوم بترديد الاسم الاعظم !! في جلبة لا تعرفها القرية الصغيرة الا يوم الاحتفال بميلاد الرسول .. حتى اذا أتوا منزل خليل تحلقوا

حول الشيخ وجلسوا في ردهة البيت مكبرين مهللين ، وقد جاملهم الرجل فداعبهم ووعظهم وترك يديه ليلثمها من يريد ، ثم انتهى من امره بعد هداة فنهض الى غرفة النوم المحددة ، فصلى ركعتين ، وطلب الخلوة ليسبح ويستغفر في رأي الناس ، وليستريح ويهدأ بعض الشيء في واقع الامر ، ان جاز لمثله ان يستريح .

وقد عرفت هذه الحجرة من يوم ذاك رائحة البخور ، ورأت مناظر الموقد واللهب والدخان وتسمعت تمتمات الذكر والرقي حيث يجلس الشيخ صباح كل يوم مغمغما متمتما، ثم ينادي سميحة فيضع كفها في كفه ، ويأخذ في تلاوته الغامضة ساعة او ساعتين، ثم يأذن لها فتنهض ويخلو وقتا الى نفسه فاذا عنّ له ان يستقبل بعد ذلك أحدا من زواره صفق بيده ، فدخل من يريد ، .. وقد لاحظ اثناء اقامته ان خليلا يترك المنزل يومين في الاسبوع ويكل خدمته الى سعيد ، فسأل عنه فعرف انه يقصد ضيعة له قد اشتراها حديثا بثمن باهظ فهو يحرص على مباشرتها بنفسه كل خميس واربعاء ، وقد مثلت سميحة ذات صباح بين يديه ليقرأ عليها رقيته ، فقال لها مصطنعا الوعظ : اما كفى هذا الحرص على المال ؟ لقد حاربكم الله في النسل بسببه فاين تذهبون ؟ فسكتت الفتاة ، ولم تجب ، فصاح الشيخ ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، فبكت الفتاة بين يديه دهشة مذعورة ، فربت على كتفها وقال : أنتما اثنان فماذا يصنع زوجك بالمال ؟ فقالت في سذاجة بريئة يدفنه في الارض ، فانتهز الشيخ هذه الاجابة وسأل : اما يخاف عليه اللصوص؟ فقالت: لن يفطن اليه أحد انه في ردهة البيت يمر به الناس ولا يشعرون واشارت بيدها الى مكان يتراءى من قرب قائلة : هو ذاك فصاح الرجل ، انا لله من تراب وسيتآكله التراب ، ثم صفق بيديه طالبا الخلوة ، فخرجت سميحة لتدعه يفكر ما وسعه التفكير وحيدا دون شريك.

قدم خليل صباح الجمعة فحف الى لقاء الشيخ في شوق ، فوجده غريقا في صلواته وتسبيحاته ، فسلم عليه مستأذنا ، ونهض ليجد سعيد امام الحجرة لا يجرأ على الدخول .. ثم سمع التصفيق من حجرة الشيخ فتقدما اليه محتشمين ، وابتسم في دهاء ، ثم دعا مريديه جميعا الى المثول باشارة يعرفها سعيد ، وسرعان ما تقدم جمهور من الفناء حيث كانوا ينتظرون .. وعقد الشيخ مجلسا للذكر ابتداه بآهة عالية يتبعها لفظ الجلالة في نغمة ممدودة تذهب بالحروف ذات اليمين وذات الشمال ، ثم انتصب واقفا فوقف الجميع، وتهيأ النشد للانشاد ، وترددت صيحات الذاكرين ، وكان صباح الجمعة المباركة قد بعث في الحلقة عبقا تشمه الارواح الهائمة فتسكر سكر الواصل العارف ، حتى اذا مضت ساعتان من الوقت جلس الشيخ فجلس مريدوه ثم وعظهم على البديهة بكلام مؤثر تتخلله الآيات والاحاديث في مناسبة وغير مناسبة ، وعلى وجهها الصحيح تارة ، وعلى غير وجهها تارات ، فمال أحد العامة على رفيقه وقال : كأني سمعت هذا الكلام ، ورأيت الشيخ بمكة منذ ثلاثة اعوام !! فرد صاحبه : ومن يدري لعله كان هناك ؟ واندفع يسأل الشيخ عن حجة البيت اذ ذاك ، فسكت الرجل فجأة ثم اخرج منديله وجعل يمسح عينيه في حرقة ويقول : لقد كشفني الله وستر الناس ، فتعجب الحاضرون وصاح صائحهم : وكيف يكشفك الله وانت وليه المختار ، فرد يقول في نشيج مفتعل : وأسفاه ، لقد حج احمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن أدهم ثلاثين مرة دون ان يراهم انسان ! ولولا ان منزلتي ضعيفة لديه ما كشفني في حجتي الحاديةوالعشرين!! ثم اغرق في بكاء خافتحزين

اما السامعون فقد غشيتهم موجة من الدهشة الحائرة ثم غمرهم طوفان من الجلال والرهبة، فاندفعوا في تكبير وتهليل حتى ارتج البيت بالضجيج ، ثم هبوا من اماكنهم واقفين فانتظموا في حلقة جديدة من حلقات الذكر ليصلوا ما قطعوه عن قريب ، وكل يعتقد ان الرجل واهل هائم يخطو الخطوة الواحدة فيكون في الحجاز ثم يكر الخطوةالثانية فيرجع الى مقره بالجبل ، وقد طويت امامه الارض، ومحيت الجبال والصحاري والبحار .. أما سعيد فقد كان اسعد الناس بصاحبه وقد اعتقد ان الجنة اصبحت طوع يديه ، وكيف وشفيعه في منزله يرعاه ويصطفيه وبعد ان قضى القوم حظا من الترنح والانشاد ، جلسوا مدة قصيرة ينشدون الراحة ثم تهيئوا للذهاب الى الصلاة في موكب يضج بالتهليل .. ورجعوا مع الشيخ بعد صلاته مودعين .

كان خليل لا يفهم عواطفه حق الفهم ، فقد رأى الناس يندفعون الى تعظيم الشيخ حبا في الله واجلالا للدين ، فاندفع معهم لاول عهده كيلا تسلقه الالسنة بقوارصها الحداد ، ثم لمس تعظيم الناس له اذ رأوا الشيخ يسكن منزله ويفيء الى ظله ، فارتقت مكانته عند نفسه واحس انه نال منزلة جديدة تخلع عليه التقدير ، واذ ذاك حرص على بقاء الرجل لديه وان لم يكن هناك نسل وانجاب.. وكثيرا ما كانت سميحة تراه ينفق على الشيخ في سعة فتظن انه يفعل ذلك ترقبا للنجل المنتظر، وتلهفا على النسل الممنوع ، فتزداد له حبا واخلاصا ، وتعتقد انها كانت واهمة حين ظنت بعواطفه الظنون !! ونحن لا ننكر ان خليلا كان يأمل الولد اولا وحين تقدم بدعوة الشيخ بادىء ذي بدء ولكنه اذ لمس عواطف التقدير من حوله نسي الهدف الاول واستشعر عظمة موهومة سلكت به مسلك المبالغة المفرطة في الضيافة والترحيب .

وحين اشرقت شمس السبت دعا الشيخ خليلا وسعيدا وسميحة فأعلمهم انه شاهد في منامه رؤيا تحتم عليه ان يأتي اهله في الجبل فيمكث لديهم ايام الاحد والاثنين والثلاثاء ثم يعود صباح الاربعاء ، وحين عرض عليه خليل ان يرجىء الرحلة قال في نبرة حزينة : ان ربيَ لصادق معي حين يكشف لي الامر عن طريق الاحلام ، وسيرحل رحلة المضطر ثم تلا قول الله « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، فاذعن الجميع راضين ، واوصى خليل صهره سعيدا ان يكون في استقباله اذا جاء وهو في ضيعته ، ليوفر اليه وسائل الراحة كما يريد ، ثم سار الشيخ متخفيا ـ كرغبته ـ دون ان يودعه أحد من مريديه ايثارا للراحة ومنعا للضجيج .

ولا تسل عن وحشة سعيد ، وضيقه هذه الايام ، لقد كان الشيخ يشغل بوجوده قلبه واحساسه وخاطره .. اما الان فقد اخذ يستشعر فراغا شاسعا يصفر في اعماقه ، وانه ليمضي الى طريق الجبل راجيا ان تهب نسمة رقيقة تحمل انفاس الرجل الوقور الى رئتيه فينعم بالاطمئنان ، وقد ارق ليلة الاربعاء في انتظار صاحبه حتى اذا اشرق الصباح توجه خارج القرية فوجد الشيخ يقدم مستخفيا ومعه شابان من الدراويش قال انهما من اتباعه الاقدمين ، فقابله بفرح ولهفة ، وبادله الشيخ شعورا بشعور ، وقد أمره الا يخبر أحدا من مريديه بحضوره ، اذ انه يود ان يقطع يوما طويلا في العبادة والتسبيح بعد ان اضاع الوقت ذهابا وايابا دون تفرغ للالهام ، واعتذر لسميحة عن بخور الصباح زاعما انه سيعوضه في الغروب بعد ان يؤدي ما عليه من الصلوات ، وقد اسر في اذني سعيد بان الفرج قريب ان شاء الله في ذلك اليوم ، وعليه ان يذهب هو الاخر الى المسجد قبيل الغروب فيكرر الركعات والسجدات ابتهالا لربه في مشكلة فتاته ، حتى تحين العشاء فيقدم بعد صلاتها وقد تقرّب الى الله بأسمى العبادات ، ثم اشار الى الشابين اللذين معه وقال : هما حارساي ورفيقاي فلا تشغل نفسك بي اذا توجهت للصلاة !!

حانت ساعة الغروب ، وتوجه سعيد الى المسجد ، واستعدت سميحة لرقية الشيخ وتعويذته بين يدي الموقد النافح بالعبق والعطور من فتات اللبان والصندل والكافور، وقد وضعت يدها كالعادة بين يدي الشيخ غير ان رائحة البخور قد ضوعفت عن عمد وفقا لخطة يتقنها الرجل ، فاصيبت باغماء طرحها

على الفراش ، ومضت برهة ظنها الشيخ ستطول ، ولكنها افاقت دهشة لترى نفسها مجردة الثيا ب، وقد وقف دونها الشيخ عاريا في مرأى قذر دنيء ، فصرخت صرخة مفزعة وتوجهت الى الباب فوجدت الشابين يحفران الردهة ويخرجان الذهب والفضة من التراب فجن جنونها ووالت صرخاتها المدوية ، فخاف الشيخ عاقبة الضجة ، واسرع يكتم فمها بعنف وجبروت ، ولكن الجيران قد تنبهوا للصوت الصارخ فاقتحم المنزل سيل من المارة ليروا ابعد مشهد كانوا يتوقعونه !! وقد لاذ الشابان بالفرار مرتبكين دون ان ياخذا شيئا مما نبشا عنه !! أما شيخ الخفراء وقد كان في طليعة القادمين فقد سحب الدجال الآثم من لحيته، وابرزه على الملأ عاريا ينطق بدناءته ومخازيه ثم ابلغت نقطة الشرطة في سرعة فحضر رجال الامن ليجبروا الدجال المحترف على الاعتراف بشريكيه الهاربين !! وليقذفوا به ، الى السجن انتظارا لمحاكمته الفاضحة ، وقد اضطر سعيد ان يقطع صلاته قبل العشاء حين بلغه النبأ الفاجع ، فأتى ليطمئن على فتاته اولا ، ثم ليتوارى قليلا عن الاعين بعد ان فضح الواقع المرير ثقته البلهاء واعتقاده الموهوم ... وكانت ليلة .

الفيوم **محمد رجب البيومي**

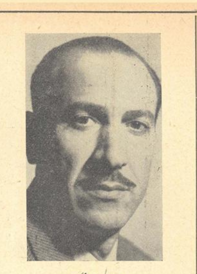
أتحبني حقاً ؟

أتحبني حقا وتصدق في هواك وفي وفاك ؟
وتود لو اقضي الحياة كما تحب على رباك ؟
وتغار لو حدثت في ود وفي همس سواك ؟
وبرغم اشواق الحسان الفاتنات الى لقاك
تشتاقني ويضمني في لهفة حيرى هواك ؟
وتقول لي والي تهفو في حنين مقلتاك
لم اهو غيرك كل ما ابغيه في الدنيا رضاك
اتحبني حقا ؟ !

اتحبني حقا وهل صدقت عيونك في الكلام ؟
كالشهد تسكب في فمي حلوا كأنغام الغرام
ويطول ليلك ساهرا ان طال هجري والخصام
تمضي بلا هدف بلا امل وتخبط في الظلام
وتقول قد نسيت هواي وحرَّمت عيني المنام
وانا على حالي على عهد الهوى ارعى الزمام
وبرغم ظلمك لي وهجرك لي إحبك في هيام
اتحبني حقا ؟ !

أتحبني ام ذاك من نسج التوهم والخيال ؟
احيا على الالوان ساحرة المفاتن والظلال
واقول رافعة الجبين أتيه نشوى في دلال
لم يهو غيري في الحياة ولا يرى اخرى مثالي
انا وحيه ، انا حبه ، انا سر احلام الليالي ! !
انا عنده كل الحياة بغير حبي لا يبالي ! !
يا قلب هذا ما يقول لي الحبيب فهل يغالي ؟ !

مصر الجديدة **روحية القليني**


سعد صائب

بيشنودي .. شاعر من الهند

بقلم سعد صائب

* * *

كلما ذكر الادب الهندي القديم تتجه الاذهان الى ملحمتين خالدتين ابدعتهما العبقرية الهندية ، اولاهما تمجد البطولة في الحرب ، والثانية تتغنى بالحب .. « فالمهابها راتا » ملحمة شعرية طويلة ، يروي فيها الهندوس تاريخهم ممزوجا بالاساطير ، وقد بولغ في ضخامتها بحيث « لو وضعت الالياذة والاوذيسة لهوميروس والانياذة لفرجيل والفردوس المفقود لملتون الى جانبها ، لما بلغت هذه الملاحم من الطول ما بلغته هذه الملحمة الوطنية . وال « رامايانا » الملحمة التي ظلت معينا لا ينضب للمسرح الهندي مدى الف عام او يزيد (١) » .

اما حين يذكر الادب الهندي المعاصر ، فالامر مختلف جدا ومرد هذا الاختلاف الى الظروف التي تعاورت الهند فامتدت حقبة طويلة من حياتها . لهذا كان لا بد لدارس هذا الادب والشعر منه بخاصة ـ من ذكر حقبتين مر بهما ، احداهما قبل الاستقلال (١٩٤٧) والثانية بعده. فمنذ مطلع القرن العشرين ، كان جل اهتمام الهند موجها لنيل استقلالها وتحريرها من نير الحكم البريطاني شانها في ذلك شان كل امة وعت حقيقتها وآمنت بوجودها ، لذلك كان تحرير الوطن من غاصبيه وبعثه بعثا جديدا اهم حافز عاشه كتاب الهند وشعراؤها فراحوا يبعثون في مواطنيهم ذكرى بطولات اجدادهم ويثيرون عواطفهم ، احياء للروح القديمة بكل ما فيها من امجاد . وكان من بين الشعراء الذين برزوا في اشعارهم واغانيهم التي حركت المشاعر : طاغور ، وبانكيم شاندرا شانرجي في البنغال ، وبهاراني ، وبيلاي ، والشاعرتان نايدو وساروا جيناي .

وقد امتاز طاغور وشانرجي بعذوبة الموسيقى وحبهما الطبيعة وادراكهما وحدة الانسانية . والى طاغور وحده يعود الفضل في بعث روح النهضة في الشعر الهندي المعاصر ، زخر شعره بالتعبير الصادق عن شمولية العواطف والمشاعر الانسانية ، فاتصل بالنفوس وخفة على الطباع ، لا في الهند فحسب ، بل وفي العالم اجمع ، الذي قدره اجل تقدير فمنح جائزة « نوبل » للادب .

اما الشاعر « بهاراني » فتعود شهرته الى اغانيه الحماسية الثورية من نحو ، والى اغانيه التأملية من نحو اخر ، عبَّر في الاولى عن الشجاعة والتضحية والاخلاص لبلاده ، وتناول في الثانية المواضيع الدينية الشائعة في جنوبي الهند . وجاراه في هذا الميدان الشاعر « بيلاي » الذي بلغ شأوا في التعبير عن عقائدية غاندي وتفكيره ، حتى دعي بشاعر التأملية ...

ونظمت الشاعرة « نايدو » التي لقبها غاندي بعندليب الهند ، اغلب شعرها في اللغة الانكليزية ، وامتازت بالعاطفة الجياشة الفنية ، وبالشاعرية الدافئة ، كما اشتهرت باغانيها القومية التي تقوم على الحب والفداء ..

حقبة ما بعد الاستقلال : حين ظهر غاندي في الميدان الوطني ، انتابت الشعراء الهنود حميا الوطنية ، واحسوا احساسا واضحا بتأثير النضال من اجل الحرية ، فكأن موجة عارمة من الحماسة قد طغت على الشاعر الهندي فراح يثير النفوس ويستنهض الهمم لطرد الغاصبين ، مما مهد لظهور شعر وطني ازدهر في فترة ما قبل الاستقلال ، وعبّد الطريق لاكتشاف ثروات شعرية ملهمة ظهرت في عهد الاستقلال ، والاتجاه الرئيسي الذي سار عليه الشعراء في هذه الفترة هو التركيز على الفرد العادي ، والرغبة الملحة في رفع مستواه الاجتماعي ، وتمكينه من الفرص التي ستأخذ بيده نحو حياة افضل . وهنا لا بد من القول ان مستوى شعراء هذه الفترة لم يبلغ المستوى الذي بلغه طاغور واضرابه . ومهما يكن من امر فثمة مدرسة برزت في الشعر الهندي عُرفت بمدرسة « شاها باوادي » ابدعت شعرا ان اتسم بالغموض فقد سما بالاخيلة ، وزخر بالعاطفة الصادقة ، وممن اشتهر من شعراء هذه المدرسة « سومي تراناندان بانت » و « ج . براساد » و «نيرالا» و « ماهاديفي » و « دنيكار » وهم الذين استجابوا للحركة الوطنية ، وامتاز شعرهم بالصوفية .

وثمة اتجاه آخر ملحوظ في الشعر الهندي المعاصر ، وهو الاتجاه الذي ابتدعه من عرفوا « بالتجريبيين » وقد دأب هؤلاء الشعراء في البحث عن الاشباح والصور غير المألوفة ، ويمثل هذه المدرسة اصدق تمثيل « اجيا » و « باشان » والشاعر بيشنودي وهو مدار حديثنا .

وبيشنودي (٢) شاعر بنغالي ، ولد عام ١٩٠٩ ، ونشأ في كنف عائلة غنية اتاحت له ثروتها اسباب الدراسة العالية في جامعة « كلكوتا » ودراسة الاداب الانكليزية في كلية « مولانا آزاد » فأمسى ذا ثقافة رفيعة ، ترفدها تجارب عميقة . عاش حياة هادئة هانئة ، فعني بالموسيقى والفنون التصويرية ودأب على مناوأة الخرافات القديمة التي تكبل مواطنيه وتحول دون تطورهم ، واتى قومه برؤيا جديدة عليهم لم يالفوها من قبل ، كما تفرد في شعره بأسلوب خاص تغشاه مسحة من الرمزية . ترجم آثار « اليوت » و « نيرودا » وسواهما من كبار الشعراء الغربيين المعاصرين ، واصدر عددا جما من كتب التراجم ، كما نشر تسع مجموعات شعرية في اللغة البنغالية من ابرز آثاره التي تعبر عن اسلوبه : « اورفازيت ارتميز » ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ . و « بورفالخ » ١٩٤١ . و « انرفيستا » ١٩٥٠ و «اليخيا» ١٩٥٨ .

---

(١) انظر : قصة الادب في العالم . تصنيف احمد امين وزكي نجيب محمود جزء ١ ص ٤٨ طبع ١٩٥٥ . (٢) أنظر : الجزء الخامس من كتاب « نصف قرن من الشعر » من منشورات « اليونسكو » .

لا تخشي الليل

لا تخشي الليـل
اخفـي عينيـكِ فـي راحتيَّ
وجوزي بتعبكِ فـي ناظريَّ
يتساوق لحنـكِ وايقـاعي .
انـتِ وانـا .

يجرح الضيـا ، ويحـرق حقـدا .
ان احدا لا يرتضي هذا الضياء الملوث
اليـوم ، الليـل وحـده هـو النقي .
وتصمت جـوقة الحـب في الحقـد
اخفـي عينيك فـي راحتيَّ ..

محطـم الرابطـة

انعتق محطم روابط الامواج الفضيـّة من ذراعي اليم
وانطـلق نيسـان ضاحكـا
انطـلق مـع النسمـة النـاعمة
تاركـا لـي الشمس البـاهتة
والسـاحل الخالي .. والشاطىء المهجور .
وفـي صفـاء الرحيـق يستوعب الرمل الضياء .
لقـد ولـى نيسـان مستحما بالافق ...

رعـب الظلمـات

رعـب الظلمـات
ظـلال الاشجار المؤارة تقطـع خطانا .
القمر ايمـاءة الضيـاء القصيـة .
يحبه الظلمة ، فيغرق ناظريـك في ناظريَّ ..
وفي الليل تساقط قطرات وئيدة اثر قطرات
ووشوشات الليـل لا تتناهى
تعود وتتكرر ، ويساقط الماء قطرة اثر قطرة
وفجاة ، هتفت باسمي صارخة
وفتحتِ لـي ذراعيـك :
وفي لحظـة استسلمت :
ساحتفظ بهذه الزهرة الى الابد ...

غمـامـة

لم تكن السماء متشحة بالغمـام
دثـار رمادي يغطي كـل شيء
غشاء مكين فوق فم الثرى الهـذر
هـدنة جـدال . غمـامة رمادية
بالفـة العذوبة لعينين متعبتين
لراحة جسـد معـذب
تدعـوها صورتها
زاهية ، قلما تتعاورها الرغبة .
آه ، يا لها من رتابة يومية
يشغفون بها حبـا ، لا اكثر .
روحهـا صافيـة ، محددة جـدا
شدَّ مـا اعرفها ، اما هي
فلا تعرف الا ما هو آني ، الرتابة اليومية .
لكم هي مبتذلة ، حكمة المراة الضيقة .
انهـا ليست مـاهـا سكوكتـا
بل هي ، وا أسفي ، لا تحول دون التفكير بها
بمـلء الارادة
لقد توارت قنـن الجبـال فـي السماء
وثمـة غمامـة وحيـدة تجلـل كل شيء ..

انـا غـريب

« لقد خـاف ، ونحـن ايضـا نخـاف ،
لقد خلق الاخرين واخافهم ، ونحن نخاف الاخرين » اوبانيشاد

انا ، غريب ، مشرد ، وحيد بين الناس
احكي للجدر الصم اشياء بسيطة وصريحة
وانا كانسان جوّاب آفاق ، جئت من «الخطيئة الاولى»
وتراني في هذا المأوى ، لاجئا لا يفهم لغتهم .
انا في هذه الحجرة المترفة ، غريب مستوحش
ولكم يجهل المستوحش العادات ،
ان كل خطوة يخطوها ، هي خطوة زائفـة
والخطوة الزائفة ، بمثابة خطيئة يفتح منها فحيح افعى .
ان القلق الذي يتملكني ، تعروني منه هزة
لن افر منها ان كنت على الارض ، او فوق صفحة اليم
وتبقى كما هي دوما ، اياما ليس لها انتهاء
وليـالي لا سـلام فيهـا .
ربـاه ، ان قلبـي حـائر ..

صـــورة

عادت ، تجرر اذيال ساريها
فـي تـردد صريـح
وتواثبت ، خفيفـة نشطـة
يموج فـوق الصخـرة السوداء قد بهي
ملتف بسـار ابيض ، موشّى بالقرمز
ايقاع بازالت نوار ، قد منتصب أهيَف .
لِمَ لا نستطيع ، نحـن كذلـك
بالرقة ذاتها ، وبالايقاع الرصين نفسه
ان نجوز واثبين العقبة الناهدة امام خطواتنا ؟..

دمشـق سعد صائب

زائر منتصف الليل

عبد المنعم عواد يوسف

القاهرة

كنت وحدي ..
انا والصمت ، وافكاري الحيارى ..
ارقب الليل ، واصغى لصدى الهمس البعيد ..
لصدى الهمس البعيد ..
البعيد .. البعيد ..
ابلع الصمت ، وللصمت مذاق ..
احضن الليل ، وللليل عناق ..
فأذوب .. دون حس ..
دون همس ..
غير صوت من بعيد ..
من بعيد .. من بعيد ..
هائما ما زال ، في اعماق نفسي ..

وانتبهت ..
ما الذي اسمع ؟ ، من ؟ ، من تراه ..
يطرق الباب وقد نام الوجود ..
بين احضان الحياه ..
قمت كي ابصر من ! ! ،
من يكون الزائر الطارق والليل انتصف ..
وفتحت الباب : يا للنبل ! ! ، ما هذا الجمال ؟..
اي سحر فاض من تلك العيون ..
اي اشراق من الاعماق سال ..
يا لنبل الروح ! ! ، يا بوركت من وجه اهلّ
وعلى عمري أطلّ
قلت : من انت ؟ فاوما ، ثم قال ..
صوته الحالم ينبوع من السحر الحلال ..
والشحوب الساحر الاخاذ تعلوه ابتسامه ..
« لست تدري من أكون ؟ » ..
قلت : لا ..
قال : « حقا ؟ ؟ فاستمع : اني الالم » ..
الالم .. الالم ..
يا لسحر اللفظة العذراء في اعماق نفسي ..
الصدى الساحر هز الروح ، في اروع همس ..
قلت : اهلا بالحبيب ..
ثم احسست ببرد في ضلوعي ..
كان غيثا مغدقا ، كان دموعي ..
يا لصحرائي التي اضحت رياضا ..
اللظى المحرق في الاعماق غاضا ..
وارتوى قلبي ، وقد سال المطر ..
والحبيب المنتظر .. لم يزل بالباب، يرنو في سلام
وجهه الشاحب يعلوه ابتسام ..
وفتحت الباب ، باب القلب ، للضيف الحبيب ..
قلت : فلتدخل ، وفي الاعماق نم ..
يا حبيبي ، يا الم ..

كيف اصبحت قصصيا ؟

بقلم محمود تيمور

* * *

نشأت في بيت اكثر ما فيه الكتب ، فقد كان ابي المرحوم « احمد تيمور » ولوعا بجمع ما تمخضت عنه القرائح العربية في كل فن وعلم ، لا يكاد يدع منها مطبوعا او مخطوطا في الشرق والغرب ، ولعله كان بالمخطوطات اشد ولعا ، وحرصه على اقتنائها ابعد مدى ، ومرت الايام تباعا ، و « الخزانة التيمورية » التي تحتل الان مكانا كريما من « دار الكتب المصرية » تكبر ، وانا اكبر معها ، وازداد من تقديري لها ، وكان ابي ينفق اطيب وقته بين حجراتها ، ويرصد اعظم جهده في سبيلها ، حتى لقد خيل لي — وهو يتنقل بين اصونتها ورفوفها — انه قد غدا فيها كتابا حيا ينطق بما بين دفتيه .

ولما اشتد عودي ، واحسنت القراءة والكتابة ، الفيت ابي يهدي الي مجلدا ضخما من كتاب « الف ليلة وليلة » في طبعة مهذبة محلاة بالتصاوير ، فما هي الا ان اقبلت على الكتاب ، اسبح فيما حوى من حكايات شائقة ، وكنت أجمع من يرغب في الاستماع من عشيرة البيت ، فأعيد عليهم تلاوة ما قرأت ، ولعل السر في اعجابي بكتاب « الف ليلة وليلة » في تلك المرحلة من حياتي ، هو مشابهتها للحواديت ، وهي القصص الساذجة الخرافية التي استمعنا اليها من العجائز ، يسامرننا بها في عهد الطفولة الاولى ، فكأنما كنت بقراءة « الف ليلة وليلة » استعيد سذاجة ذلك العهد المحبب الانيس ، وما منا الا من يشعر بحنين الى بواكير ايامه ، وهو حديث عهد بالحياة ، ولم يكن كل ما يعجبنا في « الف ليلة وليلة » مجرد شبهها بالقصص البطولية الساذجة ، فقد راقنا منها — مع ذلك — اتساع الخيال ، وخلابة الاحداث ، وطرافة الصور ، والجو الشرقي الساحر الذي يمت الى نفوسنا باوثق الاسباب ، ذلك الجو الحافل بالمغامرات التي تهفو نفوسنا الى مزاولتها ، نشرك الابطال فيما يقومون به من اعمال ، وما يخوضون من اخطار ، نرتفع مع الرخ الى السموات العلى ، ثم نهبط من « وادي الثعابين » الى « مغارة الموتى » ، واذا نحن ننفذ منها الى « مدينة النحاس » نهيم في صمتها المرهوب ، ثم لا نلبث ان نتوب الى الاهل والاحباب ، محملين بالذهب والفضة ، متحلين باللآلىء واليواقيت .

ولا ريب في ان « الف ليلة وليلة » مما يذكي في نفس القارىء موهبة التخيل ، ويمده بعناصر الخلق القصصي ، ولم يكن عبثا ان يقول « فولتير » انه قرأ ذلك الكتاب مرات قبل ان يجري قلمه بكتابة قصة ، وانه تمنى ان يفقد ذاكرته ليستطيع ان يقرأ الكتاب من جديد بمثل اللذة التي قرأه بها اول مرة .

ولقد أثار كتاب « الف ليلة وليلة » ميلي الى قراءة امثاله ، فأمدتني مكتبة ابي بما اطمح اليه ، واذكر انه كان فيما قرأت يومئذ من كتب الاسمار ونوادر الاخباريين كتاب « أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس » وكتاب « نفحة اليمن بما يزيل الهم والشجن » وغيرهما من النظائر والاشباه .

وامتدت عيني الى غير ما تحويه خزانة ابي من روايات عصرية مترجمة ، فوجدتني اجنح الى ايثار « القصص البوليسي » اعني قصص الحيلة والجريمة ، واذكر منها الان روايات « نقولا كارتر » و «شارلول هولمز» و «سنكلر» ! فغتنتي ايما فتنة بما يبديه الابطال من ذكاء وسرعة خاطر ، وحضور بديهة ، وقدرة بارعة على التخلص من المآزق ، وكذلك اعجبت بما تدبر القصص من مفاجآت مثيرة ، تملك على القارىء انتباهه ، وتحمله على متابعة القراءة في شوق موصول .

وفي صيف من الاصياف ، وانا مغمور بما قرات وما وعيت من هذا اللون القصصي الغربي ، سافرنا الى الضيعة في الريف ، والحياة هنالك هادئة ، يتسع فيها وقت الفراغ ، والجو هنالك مهيأ للتأمل والانطلاق في آفاق الخيال ، فألفيتني اخلو الى نفسي ، واغلق الباب دوني ، واجلس الى اوراقي واقلامي ، ادبج قصة هندية الاحداث ، بطلها ضابط انجليزي يجني على فتاة وطنية ، فينبري أهلوها يثأرون لها ، وينتقمون ممن اساء اليها ، وجعلت للقصة عنوانا عظيما ، هو : « الشرف الرفيع » وما فاتني ان ارصع القصة ببيت المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يراق على جوانبه الدم

ولما اتممت تحبير القصة هرعت بها الى ابي ، ورجوت منه ان يبعث بها الى احدى الصحف كي تنشرها باسمي ، وكانت سني اذ ذاك لا تتجاوز الرابعة عشرة ، فألقى ابي على القصة نظرة خاطفة ، ثم ابتسم لي ، وربت على كتفي ، وقال :

حسنا كتبت ، وسأنظر فيما رغبت فيه من نشر القصة .

وانقضت ايام ، وانا ارقب ظهور القصة العظيمة ، وطال ارتقابي ، حتى الهتني عنها الشواغل — وبعد حين صادفت باكورتي في الكتابة القصصية مسجاة في زاوية من مكتب ابي ، تشكو الصن والاعراض ، فأدركني عليها اشفاق ، وهممت ان اتناولها ، ولكن اكباري لابي منعني ان افعل ، فانتظرت حتى لقيته ، وفاتحته في الامر ، فطلب مني ان اعاود تجربة الكتابة مرة اخرى ، لعلي ابلغ من التوفيق ما لم يتح لي في التجربة الاولى .

واذا كان ابي صاحب الفضل الاول في اذكاء موهبتي

الكتابة بما يسر لي من المطالعة في صباي الباكر ، فان الذي بعثني على ان اكتب في جد وتصميم هو شقيقي المرحوم « محمد تيمور » اذ وجه موهبتي توجيها استفاده من ثقافته وخبرته وذوقه ، وكان يومئذ قد عاد من فرنسة بعد ان قضى فيها ثلاث سنين ، يتزود من الادب العصري الاوربي ما طاب له ان يتزود .

وشرع شقيقي يعالج فيما يعالج من الوان الكتابة رسم الواح قصصية اظهر ما فيها معالم حياتنا المحلية ، وامهات مشكلاتنا الاجتماعية، وكانت كتاباته في هذه الناحية فسحا لنطاق الادب العربي ، ونقلا له من موضوعاته التقليدية المتوارثة الى تسجيل ما يعتلج من آمال وآلام في نفسيـة المجتمع العصري داخل اطار قصصي .

ولبثت ارقب من كثب شقيقي يعرض محاولاته في هذا الباب ، فاذا تحرك قلمي للبيان والتعبير الفيتني اوثر ذلك اللون الذي كان يسمى حينئذ « الشعر المنثور » . ابث كلماته ما يضطرب به وجداني من عواطف ومشاعر وخطرات ، ولم يكن ذلك الشعر المنثور يخلو من وشائج هي في باب القصة ادخل منها في باب المقال ، على انني كنت في هذا الاتجاه متأثرا — لا شك — بما توهج في أفقنا الادبي لذلك العهد من لوامع ادب المهجر ، بأقـلام « جبران » و « الريحاني » و « نعيمة » ومن اليهم ممن زفوا الى الكتابة العربية ادبا عاطفيا انسانيا جديدا في روحه ، يمس من القارىء شغاف قلبه ، ويثير فيه كوامن عطف ورحمة واشفاق .

وفي ذلك الوقت كنـت استنير فـي مطالعاتي بهدى شقيقي ، فنصح لي فيما نصح بأن اطالع « حديث عيسى بن هشام للاديـب العربـي الصميم « محمد المويلحـي » وقصة « زينب » للكاتب الاجتماعي المفكر « محمد حسين هيكل» فلمحت فيهما مسحة تختلف عن الادب «الرومانسي» الذي كنت غارقا فيه ، مسحة تهبط بالقارىء من سماء الخيال المجنح ، حيث يعيش الناس كالملائكة فوق الضباب، الى الارض التي تدب فيها ، فترى الناس من حولنا بشرا مثلنا على فطرتهم التي خلقوا عليها .

و « حديث عيسى بن هشام » هو المرحلة الثانية للقصة في الادب العربي بعد « الف ليلة وليلة » وقد نحا فيه مؤلفه منحى حديثا ، فخياله واسـع ، وسرده ممتع ، وشخصياته لا تخلو من احكام في الرسم ، واذا كان قد اقتفى اثر « المقامات » في بعض اسلوبها ، فقد امتاز بأنه صاحب المحاولة الناجحة المبكرة لتمصير الادب ، وصبغه باللون المحلي ، مع سموه عن الواقعية الساذجة .

أما « زينب » فهي اسبق عمل ادبي في العصر الحديث، مكتمل العناصر الاساسية للقصص الفني ، ولا ريب في ان هذه القصة كانت مظهرا لنزعة التجديد ، ووثبة الخلق، فيها انتفاضة وجدانية وطنية ، وفيها معالجـة لتصوير الحياة في رقعة كبيرة من هذا الوطـن ، هي الريف ،



محمود تيمور

•

فتوهجت في القصة مشاعر وعواطف وتعاقبـت صور محلية ، وتجلت شخصيات شعبية اريد بها جميعا ان تحقق غرضا هفت اليه نفوس الداعين والى تجديد الادب في مستهل القرن الذي نعيش فيه ، ذلك الغرض هو انشاء ادب قومي السمات ، قومي الاحداث ، قومي الروح ، يتأكد به طابع القومية في التعبير والتصوير .

ولم تقف مطالعاتي عند الادب العربي قديمه وحديثه ، ما الف فيه وما ترجم اليه ، فقد كانت معرفتي بالانجليزية والفرنسـية قد نمت نموا يمكنني من ان اقرا الادب الغربي في هاتين اللغتين ، وارشدني شقيقي الى قراءة ما كتب « موباسان » الفرنسي ، و « تشيخوف » الروسي في مجموعاتهما القصصية ، فقرات لهما ، او قل عببت من اقاصيصهما عبا ، فأما « موباسان » فقد راقتني منه قدرة على تصوير قطاعات كثيرة من الحياة مختلفة الالوان ، فيها بساطة ، وفيها صدق ، وفيها امتلاك لناحيـة الصياغة القصصية ، وفيها مهارة جمع الاطراف التي يبنى عليها العمل القصصي من احداث وشخصيات .

واما « تشيخوف » فقد راعني منه انه يصور مآسي الحياة في الواح فنية ناطقة ، لعلها لا تستكمل صياغتها القصصية بالمعنى الشائع للقصة المحبوكة الاطراف ، ولكنها بضعة من الحياة ، فيها مرارة ، وفيها خفوق ، ومع ما يبدو من بساطة الظاهر في هذه الالواح ، فانها تنطوي على معان عميقة ، وتحليل للنفس البشرية عجيب .

ويبدو لي ان تأثري بما قرات من ادب اللغتين الفرنسية والانجليزية قد اغضب على شيطان الشعر المنثور ، فاذا هو يتخلى عني ، شكر الله له ما صنع ، أن كان لانسان ان يطلب الشكر للشيطان .

وجرى قلمي بقصة قصيرة هي « الشيخ جمعة » وعلى اثرها كتبت قصة اخرى هي « يحفظ بشباك البريد » . والحق ان قصة « الشيخ جمعة » نصيبها من التصوير الوصفي اكبر من التاليف القصصي ، فضلا عن ان الواقعية فيها ، تكاد تكون هي العمل كله ، والقصة الفنية انما تكون مزاجا من واقع وخيال ، على ان « الشيخ جمعة » لقي من القبول والاستحسان ما لم اتوقع ، اذ مس الموضوع ناحية انسانية في تصوير ذلك الشيخ الفطري في نقاء سريرته ، وفي فلسفته الساذجة التي تستعلي على مشكلات الحياة، وكثيرا ما تتعقد المشكلات في وجه الانسان ، فتهفو نفسه الى مثل تلك الفلسفة البدائية المريحة التي هي كالمرفا تجنح اليه السفينة حين يكتنفها اعصار ، او يعبث بها تيار ولكن القصة التي اعتبرها مكتملة المزاج الواقعي الخيالي ــ اعني مكتملة لعنصري القصصي الفني ــ هي قصة « يحفظ بشباك البريد » وموجزها سخرية خفيفة بادعياء المغامرات الغرامية ، وبخاصة في فورة الشباب ، وهذه القصة اتيح لها ان تترجم بعد ذلك بسنين الى الانجليزية في كتاب يضم نخبة من القصص في مختلف البلاد ، ولعلها كانت طليعة ما ترجم من الادب المصري الى لغة اجنبية ، وربما كان السر في اختيارها لتمثيل ادبنا المصري القصصي وقتئذ انها كانت موفورة الحظ من اللون المحلي الذي يجذب انظار القارىء الاجنبي .

وفجعني القدر في شقيقي « محمد تيمور » سنة ١٩٢١ وهو من شبابه في عنفوان ، وحوله هالة من الاماني تتالق ، ولا نعرف مصيرها من بعده ، اتخبو بموته ، أم تتاح لها حياة وبقاء ؟

حقا ، لقد شعرت على اثر ارتحال شقيقي الى دار الخلود ، بانهيار ما كان يطمح اليه من نماء النبتة الجديدة، نبتة القصة في ادبنا القومي الحديث ، تلك النبتة التي رواها بدمه ، وارتقب لها ان تزدهر كل الازدهار .

ورايتني اضعف من ان اخلف شقيقي الراحل على ما كان يبشر به ، ويسعى اليه ، فاخلدت الى سكينة اليأس ، بعض حين ، ولكن عملية الحياة جعلت تدفع بي في طريقها الممدود ، لا يعنيها من الامر الا ان تستكمل دوراتها ، ولا تبالي من انقطعت به الطريق .. فاخذت جراح الفجيعة تندمل رويدا ، وان كانت الذكرى باقية بقاء الروح في الجسد الحي .

ووجدتني انشط لبعض العمل ، فلملمت ما تشعث من قواي ، وخطوت على الدرب في تؤدة وحذر ، انفض عن كتفي غبار اليأس ، واقصي شبح الاخفاق ، معولا على نفسي ، مهتديا بهدى شقيقي الراحل ، فكنت اكتب اقاصيص ، مندفعا بباعث من واعيتي الباطنة الى استكمال ما كانت نفس شقيقي تصبو الى تحقيقه ، لو مد الله في عمره ، وكنت احس اني بهذا النشاط اكرم روح شقيقي، واقرئها واجب التحية والاجلال .

وما ان اقبل عام ١٩٢٥ حتى كان قد تجمع لدي ما يصح اخراجه في مجموعة قصصية ، فسارعت الى طبع كتابي الاول « الشيخ جمعة وقصص اخرى » واتبعته كتابي الثاني « عم متولي » ونفسي راضية عما اصنع ، وضميري مستريح الى اني احاول ان استبقي من شقيقي الراحل جوهر حياته ، اعني ما كان يهدف اليه ، ويهتف به من ارساء دعائم الفن القصصي العصري في الادب العربي .

والزم نفسي التجرد للكتابة ، لا انتهي من مجموعة حتى اكون قد نسجت الخيوط لمجموعة اخرى ، وتراءت لي مشاهد الحياة ، وشخصيات الناس ، واحداث المجتمع ، ولوامع الافكار ، كأنما هي بضاعة قابلة للعرض في مخيلتي الفنية ، داخل الاطار القصصي ، او كأنما هي الواح محشودة امام عيني ، وعلى ان انتقي منها ما انقله في حروف وكلمات .

وكان من الطريف ان يتحدث اصدقائي عني بأني اجالس منهم من اجالس ، واتحدث الى من اتحدث ، فلا يلبثون ان يروا سماتهم وقسماتهم وبعض خفايا نفوسهم فيما انشر من اقاصيص ، وكأني اذيع لهم اسرارهم او اصور منهم زوايا كانوا يصونونها عن العيون .

ولم اكن ابالي هذا من الاصدقاء الظرفاء ، فقد شغلني ان اجلو مرآة للحياة من حولي ، ولمن اعايش من خلق الله، فمن راى في تلك المرآة وجهه فلا تثريب علي ، بل لعل ذلك مما يزيدني ايمانا وثقة باني لم اكذب فيما وصفت ، ولم اخفق فيما صورت ، ولست اخفي ان هذه الغبطة والزهو كانت تعروني حين اعلم ان بعض من اصاحب عرف نفسه في معرض الشخصيات التي اضمنها ما اكتب من اقاصيص .

وفي خلال اربعين سنة اخرجت من كتبي القصصية جملة تبلغ عدد تلك السنين ، منها ما ترجم الى لغات شرقية ، ومنها ما ترجم الى لغات غربية .

ولقد كتبت القصة قصيرة ومطولة ، وكتبتها للقراءة وللمسرح، واستلهمت في كتابتها روح العصر مرة، واحداث التاريخ مرة ، وطوفت بالمدينة احيانا ، وبالريف احيانا ، وبالبادية اخرى ، ومشيت في دروب الواقع خطوات ، وحلقت في آفاق الخيال شأوا بعد شأو ، واستجبت لهواتف شتى من مسرات واحزان ، وجلوت من سرائر النفوس ما استطعت ان اجلو ، وعالجت من مشكلات الحياة ما تيسر لي ان اعالج .. وكنت فيما اكتب انتقل من مرحلة الى مرحلة ، ومن عهد الى عهد ، لا اجمد عند مذهب ادبي بعينه ، ولا اقنع بلون من الوان الاداء الفني استمسك به لا اعدوه ، يحدوني في ذلك كله ما اكتسبت من خبرة

انـا اسهـر

الـى « قنـوط »

عيناك متعبتان . لست كمـا عرفـت
قلبـي انـا يتمـزق
ولـم السؤال
ما انت والليل الذي امضي انـا ؟
انـا اسهـر
انـا اسهـر
اقضي ليالي الطوال (اثـرثـر)

واسـود شيء حولنـا
وامتص فجـر لقـائنا
وهـوى بنـا
انـا .. بي انـا
كان القنوط يدب ، يمشي بيننا
واذا القبـل
مـا عـاد يمنحها الامـل
لِـمَ لـم يعـد . لِـمَ لـم يعد ؟
لا لا تسـل
ياقوت عينيها يقول قد « اكتهـل »

انـا ها هنا وحـدي ..
أئـن ، أذوب ، أعيـا ، أضمحل ، افكر
ورؤاي تلك رؤاي فوق محاجري تتكسر
وبدات اقرأ مـا رووه وسطروا
كانت هنالك واحة لاثنين فيها نهر

كانت نجوم الليل – احيانا – تطل وتنظر
وسحائب – كسماء عينيها – تئن وتمطر
كانت لآلـىء ناظريها في الظلام « تثرثر »
واتيت وحدي بعد اعوام هنـا أتعثر
وحدي اجل وحدي بماضينا معا اتعطر
فرأيت ثم غمامة سوداء
تسحب ظلهـا فوق الغصون وينشر
تعوي ، تصيح ، تزمجر
تطوي الربيع ربيع ايامي . فتنكفىء السنين وتعثر
فاذا مراعي الامس . الاشجار والازهار
كل الكائنات مدمر

امس رأيت هنا فراشات ملونة تطير
كانت تحط على الزهور ، وتستريح على الغدير
تصغي الى همس الجداول وارتعاشات العبير
واليوم لا امس ولا غد فوق صحرائي يسير
هجرت فراشاتي الربى ، ومضت بصمتي تستجير

عيناك متعبتان . لست كما عرفت
انـا اسهـر
انـا اسهـر
اقضي ليالي الطوال (اثرثر)
هي لـم تعد تتذكر

بغداد

صفاء الحيدري

بالوجود ، ومن تجربة في المجتمع ، ومن دؤوب على الاطلاع في مختلف فروع الثقافة ، ومـن رحلات فـي الشرق والغرب ، ولا انسى ما افدت من سخط الناس على ما اكتب طورا ، ورضاهم عنه اطوارا ، ولعلي افدت من النقد والملاحظة اضعاف ما افدت من الثناء والاطراء .

وانا الان في مرحلة اعالج فيها كتابة القصة ، واوازن بين المرحلة الاولى ، مرحلة قصة « يحفظ بشباك البريد » التي كتبتها منذ اربعين عاما ، مقتصرا فيها على تصوير شخصية شاب من ادعياء المغامرات الغرامية ، وبين المرحلة الحاضرة التي اعالج القصة فيها مستنفدا ما كسبت وما افدت من طول المرانة ، ومعاناة الدرس ، ومن فهم لاصول القصة الفنية ، وضرورة استيفاء حظها من التحليل النفسي ، ومن التعمق في النزوع الانساني الذي يمت الـى غرائز ثابتة ، تمثل كفاح البشر في معركة الحياة على مسرح الوجود .

في هذه المرحلة الحاضرة التي استدبر بها تلك المراحل السالفة ، انصت الى من يسألني :

– كيف اصبحت قصصيا ؟

فأراني افكر في السؤال مليا ، ولا املك الا ان يكون جوابي هو ان اسأل نفسي في صدق واخلاص :

– هل اصبحت قصصيا حقا ؟ !

القاهرة

محمود تيمور

نظرات في شعر الزهاوي

بقلم هلال ناجي

* * *



شعر جميل صدقي الزهاوي يجتمع التجديد والتقليد على صعيد واحد . ففي الحين الذي نجد شاعرنا يجتنب المحسنات اللفظية والبديعية ويلجأ الى مبدأ البساطة في الاسلوب في بعض شعره وفي ذلك تجديد بالنسبة الى عصره ما فيه ريب ، في هذا الحين نفسه نجده يحاكي كثيرا من القدماء في اسلوبهم ويعارضهم ويقلدهم . وربما تساءلت عن الدليل وربما تساءلت عن السند ؟ فاما الدليل ففي ديوانه (الكلم المنظوم) فانت مشاهد آثار الشعراء السابقين في كثير مما نظم . انظر الى مطولته المعنونة (لو يعلم القبر) (١) ومطلعها :

تضمن منك القبر لو يعلم القبر   جليلا بكاه الناس والعلم والشعر

تجد آثار ابي صخر الهذلي ، وابي فراس الحمداني والطائي واضحة للعيان ، فهو يحاكي رائياتهم وزنا وقافية وهو يقتبس بعض معانيهم ويضمن بعضها الاخر . فمنها قوله :

فيا لهو افراح الليالي وطيبها   ويا سلوة الايام موعدك الحشر
على برحاء الشوق منا هجرتنا   وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
فاعززت تربا كان قبلك صاغرا   واذللت دمعا من خلائقه الكبر
قسمت الاسى بين المساء وصبحها   فهذا له شطر وهذا له شطر
خررت مكبا وانتفضت بجملتي   كما انتفض العصفور بلله القطر
عذرت عيونا فاض للرزء ماؤها   وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

في قصيدته (عيد ومأتم) مثلا تأثر واضح بأسلوب ابي تمام في قصيدته المشهورة :

السيف اصدق انباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

ورب قائل يقول ان هذا كان في بواكير شعره وأوائل شبابه وردنا عليه ان للتقليد في شعر الزهاوي آثارا تدل عليه حتى في ديوانه الاخير ودليلنا قصيدته (كلمات) (٢) التي نظمها قبيل موته بأشهر قلائل فانك واجد فيها تقليدا ومحاكاة للامية السموأل في الاسلوب والصياغة . وهو حين وقف يؤبن فيصلا الاول لم يبعد كثيرا عن قصيدة مشهورة لامير اندلسي منها :

لما تماسكت الدموع   وتنهنه القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة   فليبد منك لهم خضوع
والذ من طعم الخضوع   على فمي السم النقيع

فقلدها اسلوبا وصياغة ، بل انه في غمرة انفعاله نسي انه قد ضمن عجز احد ابياتها فاهمل الاشارة اليه والاصل الاندلسي :

شيم الالى انا منهم   والاصل تتبعه الفروع

وبيت الزهاوي :

اصل الزعامة فيصل   والاصل تتبعه الفروع (٣)

وهو في قصيدته المعنونة (الفجيعة) (٤) ومطلعها :

فجع المشرقين خطب جليل   وعرى المغربين حزن طويل

يحاكي القائل ويتأثر بأسلوبه :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل   ومل الحادي وتاه الدليل

بل ان في قصيدة الزهاوي غير اثر واحد من قصيدة المذكور .

وفي قصيدته (يا عيد) (٥) يحاكي ويقلد دالية المتنبي المشهورة اسلوبا وموضوعا ، يقول المتنبي :

عيد بأية حال عدت يا عيد   لما مضى أم لامر فيك تجديد

فيقول الزهاوي :

قد عدت بعد ذهاب منك يا عيد   اذ كل شيء يسر النفس مفقود
أأنت عيد به الافراح شاملة   أم ماتم فيه للاحزان تجديد

وهكذا ، وتأثر الزهاوي بشعر امرىء القيس فترك غير اثر واحد في شعره فقصيدته (على اطلال الشعر الجاهلي) (٦) مثلا هي تقليد في الاسلوب والصياغة للامية مشهورة لامرىء القيس منها :

كانى لم اركب جوادا للذة   ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كرى كرة بعد اجفال

بل ان بعض تشبيهات امرىء القيس في معلقته تتردد كثيرا في شعر الزهاوي مثال ذلك :

ثبت بحيث العقل يسقط كابيا   كجلمود صخر حطه السيل من عل (٧)

وقوله :

فكم من وزير كان قبلك قد هوى   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله :

ولقد مضى عصر البكا   بين الدخول فحومل

وقصيدته (النادبة) (٨) ومطلعها :

طعنوك يا وطني المفدى   في الصدر حتى كدت تردى

هو متأثر فيها بأسلوب الشاعر الجاهلي عمرو بن معد كرب الزبيدي ومعانيه ، فأنت حين تقرأ بيت الزهاوي :

انفض عني صحبتي   وبقيت مثل السيف فردا

تتذكر حالا قول الزبيدي :

ذهب الذين احبهم   وبقيت مثل السيف فردا

والزهاوي يعجب بقول العنبري :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي   بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

فيقول :

ولا تبال اذا عاداك من سفه   بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وفي قصيدته (أيها الميت) (٩) التي مطلعها :

ان من قد جبلك   بعد حين قتلك

تأثر واضح بأسلوب ومعاني قصيدة (أم السليك) في رثاء ابنها وهي قصيدة جاهلية مشهورة .

ان التقليد في شعر الزهاوي له صور اخرى لعل أقتمها القصائد التي قالها مادحا ومؤرخا ، او راثيا ومؤرخا :

قد قلت في وفاتها مؤرخا عابدة سارت الى معبودها (١٠)
١٣٠٧ هـ

وقوله :

ناديت يا مجد ارخ فخري فريق يجل (١١)
١٣٢٣ هـ

فكتابة التاريخ شعرا تقليد ممجوج انسرب الى شعر الزهاوي من تأثيرات القرن التاسع عشر . لكن من الشعراء الذين تأثر بهم الزهاوي في شعره وهذا السؤال ينشطر الى شطرين الاول من الشعراء القدماء الذين تأثر الزهاوي بشعرهم واحبهم وفضلهم واشار الى ذلك فيما كتبه . الثاني من الشعراء الذين تأثر بهم من معاصريه فحاكاهم ؟ فاما الذين تأثر بهم الزهاوي واحبهم من الشعراء القدماء ففي مقدمتهم المتنبي والمعري والنواسي وبشار والخيام . لقد اعلن الزهاوي في نثره عن تفضيله للمتنبي وبشار والمعري (١٢) وهو قد احب النواسي ، وتشبه به في وقوله :

اود لو تحفروا جنب النواسي قبري
انى امتّ اليه وان تاخر عصري

ويتساءل الاستاذ (الحاني) عن الذي يبرر هذا الانتساب؟ وفي رأينا ان مبرره واضح ، انه الشهوة الى التجديد ني الشعر والاشتهار به .

فأبو نؤاس مجدد في عصره هجر الوقوف على الاطلال وافتن في وصف الخمرة وفي غزل الغلمان ! وطرق موضوعاته بلا توطئات . والزهاوي مجدد في عصره ادخل كثيرا من ابحاث الفلسفة والعلوم الى حقل الشعر وابتكر الشعر المرسل ورفع راية الدفاع عن المراة شعرا، فالزهاوي يمت الى النواسي برابطة التجديد .

ولقد احب الزهاوي الخيام واعجب بفلسفته القائمة على انتهاب اللذات من جهة وعلى الشك والتشاؤم من جهة اخرى ، ويبدو تأثره بمذهبه الشعري فهو حين يقول:

متع حياتك واغتنم لذاتها من قبل ان تلقى المنون زؤاما

او حين يقول :

لا تقف في وجه لذتك مكتوف اليدين
انت لا تأتي الى دنيذاتك مكتوف اليدين

تجد اثر الخيام واضحا . ولقد تذوق الزهاوي شعر الخيام لاتقانه الفارسية اتقانا مكنه من نظم الشعر بها والقائه ذلك الشعر في مهرجان الفردوسي الضخم في طهران ، وكان لهذا التذوق اثره في تحبيب شعر الخيام اليه فترجم رباعياته شعرا ونثرا . ولكن اثر شعر الخيام امتد بعيدا في شعر الزهاوي وظهر في غير موضع فيه استمع الى قوله :

دع الهموم جانبا وللمسرات أجنح
وربما وجدتها في جرعة من قدح (١٣)

تجده يخطف المعنى من رباعية للخيام هذه ترجمتها (١٤) :

« يا من هو خلاصة الكون والمكان دع عنك وسوسة الربح والخسار ، خذ جاما من يد الساقي واشرب لكي تكون في نجوة من هم الدنيا والآخرة » .

وانت حين تقرأ للزهاوي قوله :

اغتنم كل فرصة في الحياة لاقتناص السرور قبل الفوات
فضل العاجل القريب على الآ جل ان كنت حازما ذا حصاة
ساعة للسرور من وقتك الحاضر خير من الف ماض وآت

تلاحظ تأثره برباعية للخيام ترجمتها :

« يقولون هناك في الآخرة جنة وحور وكوثر وفيها خمر ولبن وعسل مصفى ناولني ايها الساقي كأسا على ذكرها فان النقد الواحد افضل من الف نسيئة » .

وهو حين يقول :

اتى غير مختار وفارق مضطرا ولم يك لما عاش في نفسه حرا

يعيد الى الذاكرة رباعية الخيام التي فيها :

جاء بي الى الوجود على الرغم مني ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة

ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا.

وحين تقف عند قول الزهاوي :

ليتنا كالاعشاب ننبت اخرى بعد الف من السنين تمر

تتذكر قول الخيام :

« ويا ليت لنا املا في العودة الى الحياة بعد مئات الوف السنين كما يعود العشب من قلب التراب » .

ولقد تأثر الزهاوي بغير الخيام من الشعراء الفرس مثال ذلك انه ترجم بيتين لشاعر فارسي هما :

ناشدت شيخا قد تقو س ما تفتش في الترات
فاجاب يا ولدي لقد ضيعت ايام الشباب (١٥)

لكن حبه وشدة تأثره بمعنى البيتين جعلاه ينسبهما لنفسه في (الديوان) بعد تحوير بسيط اذ قال (١٦) :

سالت شيخا قد تحدب مـا تفتش في التراب
فاجابني متاوها ضيعت ايام الشباب

وهذا المعنى نفسه ورد في شعر الزهاوي مرة اخرى عندما قال من قصيدة عنوانها (الشعر المرسل) (١٧) :

---

(١) الكلم المنظوم : الطبعة الاولى ص ١٦٦ . (٢) الثمالة ص ٣٨ . (٣) الاوشال ص ٢٢٠ . (٤) الاوشال ص ٢٢٦ . (٥) الاوشال ص ٢٤٩ . (٦) الاوشال ص ١٢٥ . (٧) الثمالية ص ٦ . (٨) الاوشال ص ٧٢ . (٩) الاوشال ص ١٠٧ . (١٠) الكلم المنظوم ص ٢ . (١١) الكلم المنظوم ص ٢٣ . (١٢) سحر الشعر ص ٦٤ . (١٣) الثمالة ص ٣٣ . (١٤) في ترجمة الرباعيات راجع عمر الخيام لاحمد حامد الصراف ـ الطبعة الثالثة . (١٥) الكلم المنظوم ص ٨٨ . (١٦) الديوان ص ٤١٢ . (١٧) الكلم المنظوم ص ١٤٩ طبعة ١٩٥٥ . (١٨) اللباب ص ٣٠ . (١٩) سحر الشعر ص ٦٤ وراجع ايضا قصيدة الذكرى والذكرى الالفية في الاوشال . (٢٠) الاوشال ص ٦٥ .

دار الياسمينة

روعة الليل بدار الياسمينه
في لقاء ضمنا هل تذكرينه
كانت الانجم لحظا مومئا
لهلال نثر الصمت حنينه
يتجلى عبر لحظ اخضر
بصفاء يرشف الصمت فتونه
سكرت عيناي من روعته
من ظلال في ترنيه حزينه
وزهور الياسمين ارتعشت
تملأ الجو عبيرا ولدونه
فتهاويت على صدري لظى
في شفاه قرمذيات ضنينه
وغوى خصر نحيل طيع

ارجح الشوق على زندي لينه
ومضى ثغري مشوقا باحثا
عن سنى غمازة او فيء نونه
واحتوانا الزهر خدرا حاضنا
طينة تهفو من الوجد لطينه !

هذه الليلة ذكراها لنا
نغم يبعث في القلب شجونه
ويرينا العمر ليلا حالما
وعناقا تحت اذيال السكينه !

فؤاد الخشن

افول لشيخ ينحني عند مشيه   أتنشد في هذا شبابك اذ ضاعا

وفي مرة رابعة نراه يسطو على هذا المعنى الفارسي ويصوغه مجددا فيقول (١٨) :

رأيت شيخا حنى الدهر ظهره   فهو كابي
يمشي وئيدا على الارض وهو   نضو اضطراب
كانه يتحرى شيئا له   في التراب
فقلت يا شيخ ماذا   اضعت قال شبابي

وقد اعجب الزهاوي بالمتنبي وتأثر به وفضله على غيره وعبر عن ذلك نثرا وشعرا (١٩) ، كان يرى معجزة المتنبي في معانيه وفي اسلوبه :

انما معجزاته   في معانيه وفي لفظه وفي الاسلوب

وكان يرى ان المتنبي شاعر العقل وشاعر الفخر وشاعر الاخلاق :

شاعر العقل شاعر المجد والفخر   الاثيلين شاعر الاخلاق

فشعر المتنبي في رأيه يرضي العقل ويرضي القلب :

انت بالشعر اذ هزت الشعوبا   كنت ترضي النهى وترضي القلوبا

وكان الزهاوي معجبا بعد هذا بفلسفة المتنبي وكان يرى ان شعره الفلسفي هو سبب شهرته . ولا يتسع المجال هنا لتقصي تأثير المتنبي في شعر الزهاوي فنكتفي بالاشارة.

وتأثر الزهاوي تأثرا كبيرا بالمعري ، وليس جديدا ان نقول ان (ثورة في الجحيم) قد نهلت من (رسالة الغفران) وان الزهاوي قد جعل من ابي العلاء شخصية رئيسة فيها وليس بدعا ان نقول ان كثيرا من شعر الزهاوي الفلسفي هو ترديد لبعض اراء المعري . ولقد فضل الزهاوي ابا العلاء على غيره من شعراء عصره كما ذكرنا ، كما خصه بقصيدة اقر فيها بالتتلمذ عليه وفيها يقول (٢٠) :

وان اكبر شيء فيك يعجبني   سخرية بتقاليد وعصيان
بعد العمى وهو سجن لاخصاص له   يزيد وحشته للنور فقدان
تخذت بيتك سجنا ثانيا فغدا   وانت فيه سجين ثم سجان
وانكروا فيك الحادا وزندقة   وعل ما انكروه فيك بهتان

انى تتلمذت في بيتي عليك وان   ابلت عظامك ازمان وازمان
اصابني في زماني ما اصابك من   حيف فما رد هذا الحيف انسان
نظمت فيك على عجز أقربه   قصيدة حشوها بث واشجان
فان اجدت فمن جدواك جودته   وان اسأت فكم قد خاب فنان

كل ذلك مشهور معروف ، وقد قلنا قبلا ان العديد ممن كتبوا عن الزهاوي قد اشاروا مجرد اشارة الى تأثره بالمعري في شعره الفلسفي . ولكن ما من احد حاول ان يدرس شعر الزهاوي الفلسفي ويوازن بينه وبين شعر المعري الفلسفي ولا أحد قارن بينهما مقارنة علمية ، فبقيت اشاراتهم عارية عن الدليل .

القاهرة   هلال ناجي

تعربد الموسيقى في جنون فتصطدم اصداؤها بجدران الملهى الضيق وترتد في عنف . جسد الراقصة «ياسمين» يتلوى بآلية اكتسبتها من عملها في هذا الملهى . غمغمة المخمورين تثير اعصابها وتحس بجسدها يلتهب بين العيون المحمومة التي تتخاطفه هنا وهناك . تدوس ببصرها الاكوام اللاواعية من البشر التي تحدق فيها باحثة عن قامة تنتصب كل يوم بكبرياء هادىء في احدى زوايا الملهى.

صورته بعينيه الدقيقتين النافذتين ونظراته القوية ما تزال تحتل مخيلها. بالامس سألها احمد الزواج — بعد ان اخفق في امتلاكها باية طريقة اخرى — فاعتراها شعور غريب . الدهشة الواسعة التي احتلت معالم وجهها كانت كل ما استطاعت الجواب به حين امهلته للغد . واليوم تبحث عنه فلا تجده .

مجرد تأخير بلا شك .. !

وتزيح شعرها الاشقر الطويل الى الوراء بحركة من يدها فيها الكثير من العنف والاحتجاج .

غمغمة السكارى تنقلب الى هدير وحماس الموسيقى لا يفتر .. يلهث بسرعة في محاولة لمرافقة الجسد الافعواني .

تحس بقرف وغثيان شديدين .

للمرة الاولى ومنذ سنوات تمقت الملهى وتكره الرقص .. !

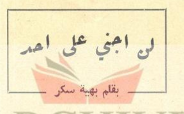
انها لم تحب الرقص يوما .. لكنها قنعت باستمرار انه خير وسيلة للاحتفاظ بسيادة نفسها .. وهي منذ بدات الحياة تعربد في عودها الملفوف تمتهن الرقص: الباب الوحيد المفتوح امام مثيلاتها اللقيطات .. !

كانت قانعة فيما مضى بمهنتها قناعتها برحمة الاله وغفرانه . وبالرغم من الرهبة التي تسيطر عليها احايين كثيرة وتملؤها احساسا بالاثم، وبالرغم من النزعة السوداوية التي كثيرا ما تخيم عليها وتضع امام عينيها منظارا اسود يعتم كل المرئيات .. بالرغم من هذا كله لم تفكر يوما في وضع حد لحياتها . كانت تنتظر يوما تلاقي فيه الاله وكان يخيل اليها دوما انه غفور رحيم وانها مظلومة لا خيار لها .

انطفأ اجيج الموسيقى وتعالت هتافات المخمورين وصيحاتهم .

ورسمت شبح ابتسامة على وجهها وراحت تنحني بكلفة في كل الاتجاهات ترد التحية . سحب دخان التبغ المعجونة برائحة العرق تتحلق بانتظام وتشير بتصميم عنيد اليها وهي على المسرح فتبتلعها على مضض باشمئزاز كبير وقد تعلقت عيناها بالستار المخملي الاحمر تستعجل التحامه .

تتنهد بعصبية وقد اصبحت في معزل عن الناس والعيون .. تتوجه باعياء الى غرفتها وترتمي باستسلام



على الكرسي الكبير . يخيل اليها ان ثمة انقلابا سيتناول حياتها بأسرها .. تحس بروحها تحلق في عوالم بعيدة.. رغبة عارمة للبكاء تجتاح كيانها واحساس ملح للصلاة يتفجر في اعماقها .

تغيب دقائق قليلة في عوالم لامرئية يتجدد ايمانها برحمة الاله وهي تمسح بحنان خيطين من الدموع انسابا بهدوء حزين على خديها المتوهجين .

بعد قليل سيحضر احمد — كما اتفقا — ليعرف رأيها الاخير .

وتنزع ثوب الرقص عنها بضيق شديد ثم تتناول بشرود ثوبها الاسود الضيق .

انها تتوق الى حياة الاستقرار والهدوء . وبالامس اكد لها احمد ان الزواج اضمن وسيلة لتحقيق امنيتها هذه .



انها تحن الى موسيقى غير التي تتخم اذنيها هنا . تحن الى نغم بريء عذب يردده صغيرها . واحمد اكد لها ايضا انه سيسعده كثيرا ان تكون أم أولاده .

زواجه منها يعني تقمص روحها في انسانة اخرى . . . واحدة يعترف بها المجتمع ويعتمد عليها زوج وتسأل عن منزل واطفال .

وشعرت بالهواء يحتبس في حنجرتها .

توجهت الى المرآة تتأمل قامتها الملفوفة ووجهها المتعب المطلي بالاصباغ، بينما امتدت يدها تقفل ازرار الثوب.

بعد ايام — اذا قدر لها وتزوجت احمد — لن تظهر بمثل هذا المظهر . تقاطيع جسدها هذه التي تئن بسبب من ضيق ثوبها ستستريح في احتشام.

ووجهها .. ؟ ! لن تفكر بعد اليوم بتشويهه بالطلاء بهذا الشكل .

ورفعت الخصلات الشقر المتمردة الى اعلى واخذت تثبتها في دعة ، واستدارت في فضول تتأكد من هندامها في المرآة .

لقد تأخر عن موعده كثيرا .

ورفعت يدها الى اذنها تتأكد من سلامة ساعتها .

بعد قليل سيطل بعينيه الدقيقتين وستقرأ اللهفة واضحة على وجهه .

وخيل اليها انها ستوافق على الارتباط به .

التفتت تبحث عن حقيبة يدها فوقعت عيناها على ثوب الرقص يستلقي في ابتذال على الكرسي قربها . احست حينئذ بيد قوية تضغط على عنقها وبياس كبير ينتشر بسرعة في كل قطعة من جسدها .

خداها يحترقان والماضي ينتصب امامها : انت لقيطة وراقصة ..

وتتهاوى على المقعد من جديد .

ترى هل قدر عليها ان ترقص حتى تموت ؟ ! الا يحق لها اذن ان

الى اين ؟

الى ايـن ؟ لـن تفلتـي مـن يـدي ،
ومهمـا تبـاعدت لـن تبعـدي .
ستبقين ، مـا شـاء حـب البقـاء ،
صلاة تهمـس فـي معبـدي ،
وابقـى انطـلاقا بعيـدا بعيـدا
الـى المطـلق الابعـد الابعـد ...

*

لم الصمت ؟ تخشينني ؟ ! ثـرثـري ،
فلـن تزعجـي هـداتي ، عـربـدي .
ومـا هم ان توصدي الـ « آن » دوني ،
وابعـد عـن آنـك الموصـد ،
فلـي ، مـن صدى ، امسـك المستفيث
انفتـاح فسيـح لدنيـا غـدي .

*

الى اين يـا « تـوأم المستحيـل » !
لافلـت لـو انـت لـم تـولـدي .
رحمتـك منـي ، وشئـت التغـاضي
رمـادا كثيفـا علـى المـوقـد ،
وشئتـك اسطـورة مـن جمـال ،
فكنـت ... ولولاي لـم تـوجـدي .
وكـان انتظـار طـويـل ، ثقيـل ،
كبـاقي الدقـائـق للموعـد .

*

وها انت . لـن تستطيعـي العبـور .
لـك الله فـي المهمـه الاسـود !
سعـدت وغـيري ؟ رويـد الظنـون !
كثـير علـى الظـن أن تسعـدي .
وهـذا الشـرود انتحـار غـريـر
فـرفقـا بقلبـك ، لا تشـردي

يونس الابن

تفكر بالتخلي عن فكرة الـزواج من احمد او سواه لتكمل اسطورةوجودها على الاقل ؟

ووجدت نفسهـا تستـدرك في سرها : هذا اذا كان جادا في طلبه ولم يكن كسواه من الذين جاؤوها راغبين في الزواج منها ..

وفي تخـاذل مريـر نظـرت الى ساعتها مـن جديد وهـزت راسها باستنكار : احساسي يؤكد لي انه لن يأتي !

وانتظرت طويلا حتى ايقنت انه قد فاتها منذ البدايـة ان الرجـل هو الرجل .. !

دمشق **بهية سكر**



نقـولا يـوسـف

عبد الرحمن شكري في ايامه الاخيرة

بقـلم نقـولا يوسـف

* * *

كان ذلـك في عصر الثلاثاء ١٦ مـن ديسمبر عام ١٩٥٨ ، حين شاهد اهل الاسكندرية موكبا صامتا يتحـرك وئيدا مـن ميـدان « محطة الرمل » ، مستدبرا عالم السعي والضجيج والغناء في طريقه الى «مدافن العمود».. يتقدم صفوفه القليلة ، محافظ المدينة نائبا عن رئيس الجمهورية، وطاقة زهر باسقة ارسلها وزير الثقافة والارشاد .

وكانما كانت تلك الجنازة الوقور ، مرثية بليغة ، اختتم بها ديوان الشاعر ، قصيدة رمزية من الشعر المرسل ، تتابعت ابياتها في نسق رصين ، ووحدة في القصيد ، عنوانها ذلك النعش البسيط ، الحامل للعملاق الساخر من الموت والحياة ، من رجا الموت اذا جاء ان يزوره في ليل الشباب كسارق ، ولا ينتظر ذل المشيب ، فلم يزره الا بعد السبعين !..

وما هي الا ساعة ، حتى كان جثمان الشاعر مسجـى في مثواه الاخير ، حفرة متواضعة عاطلة من كل مظهر وزينة ، هناك في مدفن اسلافه « آل عياد » تلك كانت وصيته التي تركها قبيل وفاته في ظرف صغير ، كتب عليه بيده اليسرى غير المشلولة : «لا يفتح الا بعد وفاتي» . وبه ورقة يقول فيها : « لا تدفنوني في حجرة تقفل علي كالسجن ، ولكن في قبر يهال عليه التراب » .. ونزل اهله عند رغبته ، ثم رأوا من الوفاء لعاهلهم بعد ذلـك ان يقيموا له في ذلك المكان ضريحا جديدا ..

وكان آخر ما سمعه منه من حوله وهو يحتضر ، همهمة تشير الى مظروف آخر تحت وسادته ، اودعه نفقـة جنازته ، فلا يتكبد غيره شيئا من اجله حتى النهاية ..

وهكذا كان شكري في مماته ، كما كان دائما في حياته . الرجل الابي، المتبتل المتواضع، العازف عن المظاهر والشهرة والصيت

وهم في الحياة مخادع — مثـل التمـاع الآل في الصحراء

كما شاء ان يظل كعهده متحررا من الاغلال . وهو من عاش متحرر النفس من عبودية الرذائل .. متحرر العقل من البدع والخرافات .. متحرر الشعر من قيود الشكل والتقليد .. منطلق الخيال في رحب السماء .. داعيـا الى تحرير وطنه من ربقة الرجعية ، والاستغلال ، والطغيان والاحتلال ..

وهو ان ينسى لا ينسى اباه ، محمد شكري عياد ، يوم القى به اعوان الخديو في السجن ، متهما بمناصرة الثورة العرابية ، وبصلته بعبد الله النديم .. وما عاناه ذلك الوالد الطيب بسبب ذلك من تعطل وضيق وارهاق ، كان من جرائها ان خرج ابناؤه غير اشداء العـود .. ثم ما جناه اعوان الاحتلال على الشاعر في شبابه ابان الحركة الوطنية عام ١٩٠٦ بقيادة مصطفى كامل، فاتهموه بالتحريض على الثورة ، وفصلوه من مدرسة الحقوق ، يوم وقـف زميله في المدرسة عبد الحميـد بدوي (القاضي اليوم بمحكمة العدل الدولية) والقى على الجماهير قصيدة شكري الوطنية التي تتحـدى الاحتلال في عنفوانه وطغيانه :

ثباتا فان العار أصعب محمـلا — من الذل لا يفضي بنا الذل للعار
وان تحسبوها خطة العيس اننا — ذوي العزم ، لا نفضي لصولةجبار
فما زادنـا الترويـع الا حميـة — وهل حسبوا انيطفئوا النار بالنار؟

* * *

كانت مرثية الوداع الجنائزية هذه خاتمة القصة التي استهلت بمولد الشاعر عبد الرحمن شكري ببورسعيد في ١٢ من اكتوبر عام ١٨٨٦ ، وانتهت بلقاء ربه في ضاحية « سيدي بشر » برمل الاسكندرية في الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ ، طاوية من الزمن اثنين وسبعين عاما ، قصة شاعر كبير من رواد الادب العربي الحديث : لم يتـرك مالا ولا ولدا ، فهو لم يتزوج قط .. ولكنه خلف للناس تراثا ادبيا ممتازا ، يجتمع في ثمانية دواوين من الشعر ، وعشرة كتب من النثر (جمع منها خمسة) .. كما خلف بضعة الوف من التلاميذ الذين تلقوا العلم في شتى المعاهد خلال ستة وعشرين عاما . ومثلهم ممن توفر على دراسة آثاره القلمية ، قارئـا ، او ناقدا ، او باحثا ، او معـدا لرسالة جامعيـة ..

ولمن يشاء ان يؤلف هذه « الدرامة » التي تمثل حياة

شاعرنا ، أن يجملها في ثلاثة فصول وخاتمة .. وهذه الفصول وان تفاوتت في الطول والعرض ، فانها تجتمع في وحدة متصلة الموضوع ، متشابكة الوقائع ، لا يسهل الفصل بينها ، او التحدث عن نهايتها ككل مستقل ، هو تاريخ حياة اديب عظيم ..

* * *

فاما «الفصل الاول» فيشمل الستة والعشرين عاما الاولى من حياة شكري ، منذ عام ميلاده ١٨٨٦ حتى سنة ١٩١٢ ، حين اجتاز مرحلة التلمذة وطلب العلم ، في المدارس والجامعات ، وخرج الى ميدان الحياة العملية ودنيا الوظائف ..

وهنا نتبعه طفلا في البيت والكتّاب ، فتلميذا بمدرسة بورسعيد الابتدائية ، حتى سنة ١٩٠٠ ، فطالبا بمدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية الى عام ١٩٠٤ ، يقرأ شعر البارودي والشريف الرضي وغيرهما مما يجده في مكتبة ابيه .. فملتحقا « بمدرسة الحقوق » ليفصل منها بعد سنتين بسبب تلك القصيدة الثورية .. فطالبا « بمدرسة المعلمين العليا » فيما بين ١٩٠٦ ـ ١٩٠٩ حيث زامله المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني ، وكتب في اواخر حياته شيئا من ذكريات تلك الزمالة والمشاركة الادبية ..

وفي ذلك العام ١٩٠٩ يصدر شكري اول اجزاء ديوانه: « ضوء الفجر » وكان في الثالثة والعشرين من العمر ، ويضمنه شعر شبابه العاطفي والقصصي ، ومراثيه للامام الشيخ محمد عبده ، ومصطفى كامل ، وقاسم امين .. ويبدو فيه اثر احتذاء الشعراء العرب الاقدمين ، ممزوجا بشعر الرومانسيين الاوربيين ، وتسوده اجواء الشباب الحالمة التي كانت تتجاوب مع ذاتيته ، كما كانت تتجاوب مع شعراء جيله ، العائشين في ذلك العصر الانتقالي المفعم بالقلق ، والتردد والالم ..

وفي العام نفسه ١٩٠٩ يرسل الشاعر في بعثة دراسية الى جامعة « شيفيلد » بانجلترة ، وهناك يقضي ثلاث سنوات اخرى في التحصيل والدرس ، والاطلاع على الادب العالمي وثقافات الامم ، وفي التزود من التجارب والصور الجديدة التي ظهرت آثارها في بعض قصائد دواوينه التالية .. ويعود الى وطنه في خريف ١٩١٢ شابا في السادسة والعشرين ، حائزا اجازته الجامعية البكالوريوس في الآداب ليبدأ حياته العملية الجديدة .. وقد تزاحمت في نفسه الآمال والاماني ، والمثل العليا في الفكر والفن ، والتربية والتعليم ..

* * *

فاذا كان « الفصل الثاني » مع خريف عام ١٩١٢ ليدوم ستة وعشرين عاما اخرى نهايتها يوم اعتزاله الوظائف عام ١٩٣٨ ، رايناه في تلك الفترة ، الرجل المربي المجاهد الذي افنت سني شبابه وظائف التربية والتعليم .. فكان مدرسا للآداب والتاريخ بالمدارس الثانوية ، فناظرا لثلاث مدارس ابتدائية وخمس مدارس ثانوية ، فمفتشا بالتعليم الثانوي بوزارة التربية، متنقلا بين مقار اعماله بالاسكندرية ودمنهور ، والمنصورة ، والزقازيق ، والقاهرة ، وحلوان ، والفيوم .. ومعلما الوفا من الطلاب الذين صادف الكثير منهم نجاحا في حياته المستقبلة ..

وهو يقول في « ذكريات سني التعليم » التي نشر بعض فصولها في المجلات عام ١٩٣٩ « ... وربما كان منصب الناظر اشق مناصب التعليم التي وليتها ، بالرغم من وجاهة مظاهره .. ولقد لبثت في نظارة المدارس الثانوية، في عهود وزارات واحزاب مختلفة .. وفي عهد كانت المدارس الثانوية مضطربة جد الاضطراب ، بسبب قلة الاستقرار السياسي ... »

وهذه التنقلات بحكم الوظيفة ، بين البيئات الريفية ، والحضرية، والبحرية، اعانته ولا شك على استجلاء مختلف الصور الطبيعية والنفسية في بلاده ، فوصفها ابدع الوصف كما حدث له حينما طوف بالبلاد الاوربية ، وتكشفت له هناك صور اخرى ، أنعكست على الكثير من لوحاته الشعرية .. يضاف الى ذلك ، ان هذه الوظائف التعليمية، وبخاصة نظارة المدارس ، كانت حقل تجارب فسيح لدرس اخلاق الناس وطبائعهم ، بدا اثرها ايضا في شعره، كما بدا في ابحاثه النفسية التي نشرها في المجلات ..

والشاعر يومذاك تتقسمه يومذاك حياة المدارس ، ومسئوليات المهنة ، وحياة المدن ومجتمعاتها ، حيث تتصارع التقاليد الموروثة والتقاليد المستحدثة ، ثم هناك ساعات الصمت والاعتكاف التي ينفقها في القراءات والتأملات .. وفي خلال تلك الخلوات ، كان يرسل على الورق سيلا من الشعر المنظوم ، والبحث النقدي ، والتأمل الفلسفي .. تنبعث عادة بلا تنميق ولا تزويق .. وتصل الى صحف : « الجريدة » و « عكاظ » و « البيان » .. والى غيرها من صحف ذلك الزمان .. ثم يجتمع هذا الشعر في دواوين ، كما تجتمع تلك الفصول في كتب ..

فلم يمض عام على عودته الى وطنه من الخارج اي عام ١٩١٣، حتى كان الجزء الثاني من ديوانه بين ايدي القراء.. وفي السنة التالية ظهرت الطبعة الثانية من الجزء الاول ، وكان قد ظهر كما سلف عام ١٩٠٩ ، ثم توالى ظهور الدواوين ، فما جاء عام ١٩١٩ حتى كان للشاعر عبدالرحمن شكري سبع مجموعات من الشعر المنظوم ، قدم لخمس منها بمقدمات نثرية تشرح رايه ومذهبه في الشعر والشعراء .. وكان لهذه الدواوين دوي في الاوساط الادبية لم يزل صداه باقيا الى الساعة .. الى جانب الخمسة المؤلفات النثرية التي سماها : «حديث ابليس» و « الصحائف » و « الثمرات » ، و قصة الحلاق المجنون » و « الاعترافات » وهو في هذا الكتاب الاخير الذي وضعه في الشباب ، يصور خلقه وطباعه في صراحة

وتحليل ، وفي صورة فنية جعلت منه كتابا مرموقا لدى نقادنا المعاصرين ..

واشرف الشاعر على طبع تلك الدواوين السبعة ، والكتب النثرية الخمسة ، جميعا بمدينة الاسكندرية ، في اوقات فراغه من اعمال مهنته التعليمية ، وقبل طوافه المتلاحق بتلك المدن ، ناظرا ومفتشا بالمدارس الحكومية.

وصحيح ان « شكري » لم يطبع بعد عام ١٩١٩ اي مؤلف شعري او نثري مستقل في مجلد ما ، ولكن الصحيح ايضا انه لم ينقطع بعد ذلك العام عن الكتابة ونظم الشعر .. فلقد نشر منها في الصحف والمجلات ما اجتمع منه فيما بعد ديوانه الشعري الثامن ، وخمسة كتب اخرى وهذه الكتب الخمسة التي ظل ينشر فصولها في المجلات الادبية حتى اواخر حياته ، لم تجمع بعد في كتب خاصة ، وقد تطبع في القريب ..

وصحيح ايضا انه كانت هناك فترات انقطع فيها الشاعر عن مجالات النشر بعد عام ١٩١٩ وذلك لاسباب متجمعة منها : انشغاله بمهنته التعليمية المرهقة ، وبخاصة في تلك الاعوام التي اضطرب فيها جو المدارس بل جو البلاد جميعا ابان ثورة ١٩١٩ وما تلاها ، وما صحبها من رقابات واعتقالات .. وكان الانجليز واعوانهم يظنون في صفحات شاعرنا ما يشير الى الخطر ، ويدعو الى الحذر .. فهو ربيب الثورة العرابية وحركة مصطفى كامل ، وهو صاحب القصائد الثورية والتقدمية ومنها : « الثبات » و « الحرية » و « عام ١٩١٩ » و « هز الانوف » و «جنون الاقوياء » و « رثاء مصطفى كامل »، ومرثية « الشيخ محمد عبده » ... الى جانب دعوته الى الاصلاح ، والوحدة ، والحضارة العلمية ، وحرية الفكر .. ثم ما تلا تلك الفترة من التنقل بين المدن .. واخيرا تلك الزوبعة النقدية التي ثارت حوله عام ١٩٢١ وما بعده على صفحات الجرائد والكتب ، وبدأت بمهاجمة صديقه القديم ابراهيم المازني له في كتاب « الديوان » ، وقد لفه غبارها ، ووصل اثرها الى المدارس التي يعلم فيها « شكري » وهو المنظور اليه من تلاميذه بعين التبجيل والاكبار .. وهذه الزوبعة التي جعل النقاد من حبتها قبة ، وان كانت لم تعطل قلمه قط ، كما زعم البعض ، فقد دعته الى التريث والصمت فترة من الزمن .. ومع ذلك فقد كان يكتب حينا بمجلة « عكاظ » عام ١٩٢٠ وما تلاه ، ويبعث حينا بقصيدة عن « الطفل » الى مجلة « الهلال » عام ١٩٣٢ ، او بمقالة عن « نقد الطريقة الرمزية » الى مجلة « ابولو » عام ١٩٣٣ .. او الى غيرها .. ولكنه ظل دائما ينظم ويكتب لنفسه ، حتى يأتي اوان النشر .. وشعاره :

ارمي بشعري في حلق الزمان ولا ... ابيت منه على هم وبلبال
لا ابتغي الجاه اسعى نحوه ضرعا ... جزاء شعري ان الجاه يسعى لي

وها هو قد عاد الى النشر في الصحف والمجلات مع عام ١٩٣٥ حين وجد الشاعر في وظيفة التفتيش التعليمي بعض السعة في الوقت .. فانهالت كالغيث نحو عشرين قصيدة من اقوى شعره ، والكثير من مقالاته وابحاثه على مجلات الرسالة والمقتطف والمجلة الجديدة وغيرها ..

وفي عام ١٩٣٦ نشر نحو عشرين قصيدة اخرى .. وتمهل عام ١٩٣٧ لمشاغله الخاصة .. ثم عاد عام ١٩٣٨ يتابع قصائده وابحاثه ، وآراءه على صفحات المجلات ..

* * *

وهنا يبدأ « الفصل الثالث » والاخير — الذي يسبق الخاتمة الحزينة ...

وكان الشاعر قد بلغ الثانية والخمسين في تلك السنة ١٩٣٨ ، وما برح يجاهد في ميادين التربية والتعليم منذ ربع قرن ونيف .. ومع ذلك فها هو لا يتقدم ولا يتأخر من ناحية المعيشة المادية والرزق ، ولو كان الرجل القانع الزاهد في الامور الدنيوية ..

كانت هناك مناصب ودرجات يتسلقها دونه الزملاء والتلاميذ في عهد ساده الانحلال ، والاستغلال ، والاحتلال فهنا ولا شك غبن مقصود ، وتجاهل لكفايات العاملين .. وهناك من كان ينظر يومئذ الى الاديب ، وبخاصة الشاعر ، نظرة الحذر والارتياب ، ولا سيما اذا كان هذا الشاعر لا يعرف الملق والمداهنة ، ولا احتراف المديح والثناء ، والتباكي والرثاء ، ولا يتنازل عن الكرامة والاباء ..

هذا الى رغبة قديمة كانت تستأثر بقلبه من زمن مديد. ولم يتيسر له تحقيقها وسط ذلك التنازع الشديد على البقاء ، والتكالب على المناصب والارزاق .. وهو الرجل الفقير المتعب المعتكف ، والشاعر الباحث الدارس تلك هي الرغبة في اعتزال الوظائف والمناصب عامة ، والتفرغ للادب وحده دون شريك !..

كانت هناك في نفسه آمال عريضة في كفة ، وخيبة تلك الآمال في الكفة الاخرى .. ينشد المثل العليا ، ويجهر بالحق ، ويطلب الكمال ، فلا يلقى غير الجحود والنكران .. والوبال ..

ولم تكن سوداويته التي تبدو احيانا في شعره ، مرضية او موروثة ، بل كانت بالاحرى وليدة الظروف الاجتماعية التي عاش فيها .. ولم يكن متشائما بطبعه وهو من اطنب في تصوير محاسن الوجود ، وجمال الطبيعة ، وعظمة الحق والعدل والحب ، في مئات من ابيات شعره واغانيه ، ولكنها الحوادث التي تصطدم به في كل خطوة .. ولكنها رهافة الحس ، وشاعرية النفس ، وذلك العقل الذي اشقاه دائما ودفعه ابدا الى التحليل والتعليل ..

وحانت الفرصة في ذلك العام ١٩٣٨ ، خلال نقاش حول تجاهل الكفايات وتخطي الاقدميات ، وتفشي المحسوبيات فقدم استقالته وانطلق الطائر الى الفضاء .

وارتحل الشاعر الى مسقط راسه بور سعيد ، قانعا بالمعاش الضئيل الذي يتقاضاه مطلع كل شهر .. وعاد الى البيت القديم المتواضع الذي تملكه اسرته هناك بشارع

أفريقية ، وهو البيت الذي خربته طائرات العدوان الثلاثي على بور سعيد في اكتوبر عام ١٩٥٦ ، فيما خربت وعربدت وكان الشاعر قد انتقل نقلته الاخيرة الى الاسكندرية قبل تخريب بيته بنحو عام ، ليعيش نهايته في جو شبابه وقرب مدفن آبائه ...

وهكذا حقق شكري يومذاك امنيته القديمة في اعتزال الوظائف والتفرغ للادب ، والعودة الى مسقط الرأس ، ومسرح الصبا وبيت الاسرة في بورسعيد ..

وهناك في صومعته القريبة من البحر ، بين الالوف من الكتب ، راح يعب كعادته من كل مناهل المعرفة ، يقرأ ويدرس ويبحث في هدوء وسلام ..

وساعده الفراغ فتابع نشر القصائد والابحاث التي بدا يذيعها منذ عام ١٩٣٥ .. فكان مما نشره عام الاستقالة (١٩٣٨) نحو عشر قصائد جديدة ، وعشرة ابحاث ادبية بتوقيعه ، ثم سلسلة من المقالات بمجلة « الرسالة » ، ثم بحث عن « مقياس الثقافة » كتبه في نهاية ذلك العام ..

وكان العام التالي لتفرغه ١٩٣٩ من اكثر اعوام حياته خصبا وانتاجا .. ففيه نشر اكثر من ثلاثين بحثا في مجلات الرسالة والثقافة والهلال .. منها تلك السلسلة النقدية البارعة عن شعراء العباسيين ، واخرى في الابحاث النفسية ، الى جانب عدد من القصائد الشعرية الممتازة .. كما نراه يعالج مشكلة فلسطين واليهود في بحث نشره في « الرسالة » ..

وبينما كان الشاعر مكبا على البحث والدرس والانتاج ، اذا بوجه الشر يعود اليه في صورة جديدة كالحة .. فيعود الى صمته وفلسفته وتعليلاته !!

وكان ذلك الشر هذه المرة في شكل حرب عالمية ثانية ، تعرضت فيها بور سعيد بخاصة لغارات الطائرات ، ولجيوش الاحتلال .. والناس جميعا في شاغل بانباء الحرب ، وبمصير البشرية .. واما الاقلام وغيرها من وسائل النشر ، فقد فرضت عليها رقابة الحرب الصارمة ، وحسبت الالفاظ على قائليها !

وتطول سنوات الحرب العجاف ، والشاعر لا غنى له عن المطالعة والكتابة . ولكن لنفسه فقط ..

واذ طال احتجابه عن الاوساط الادبية والتعليمية ، وبخاصة عن مجتمعات القاهرة ، واقتصاره على الكتابة في المجلات الادبية ، دون الصحف اليومية الواسعة الانتشار ، وبسبب توقيعه على الكثير مما يكتب بامضاءات مستعارة ، وكذلك لما لم يجد القراء في الاسواق كتابا جديدا لشكري بعد عام ١٩١٩ فقد ذهب الظن بالكثيرين انه اعتزل الكتابة الى الابد .. بل اعتزل العالم كله ، او فارقه ... وقال قائل فيما بعد انه احرق كل ما نظم ونثر منذ ذلك العام ١٩١٩ في نوبة من نوبات اليأس !..

وكان شكري قد اعتاد قبيل الحرب ان يرسل بعضا من شعره وابحاثه الى مجلة « المقتطف » بالقاهرة .

فلما طال صمته خلال تلك الحرب ، أرسل اليه محررها ، دكتور فؤاد صروف ، في اوائل عام ١٩٤٣ يسأله عما يصنع ، ويجيبه شكري في خطاب خاص مسهب جاء فيه:

« ... اما سؤالك عما اصنع الان، فاني العب لعبة الفكر والنثر والشعر ، وحدي ! فأفكر واكتب ، ثم امزق ما اكتب . وفي بعض الاحيان اندم على ذلك . وفي بعض الاحايين لا اندم . فالكون عظيم ، والحياة غنية .. والفكر اشبه بالشرر المتطاير من العجلة المولدة للكهرباء في المعمل، اذا اقترب منها اصبع .. فهل يصح الندم على هذا الشرر المتطاير الذي يفنى ؟ .. اما نشر ما اكتب ، فلو تعرف الوسائل التي يتخذها العداء المنظم لمنعي من النشر ، لعرفت انه امر مستحيل . وهو شيء يدعو الى الحيرة والتعجب . لان غيري اكثر جراة في الفكر ، وفي بعض ما يكتبون . على ان صحتي وحالتي المادية لا تسمحان لي ان امثل دور دون كيشوت ... »

ثم ارسل الى محرر المقتطف ست قصائد جديدة وطلب منه الا ينشرها الان ، فلم تنشر الا بعد وفاته .. كما بادله ثلاث عشرة رسالة ادبية وفلسفية نشرت بعده ..

وفي عام ١٩٤٤ ، خلال تلك الحرب ، جاء شكري الى القاهرة لبضعة ايام قضاها في زيارة اصدقائه القدماء وبعض الكتاب والصحفيين ، ومنهم العقاد والمازني ..

وفي عام ١٩٤٦ نشر في « الرسالة » قصيدة فلسفية بعنوان : « الملاك الثائر » ...

* * *

وتنتهي الحرب العالمية الثانية .. ويعود السلام ، او ما يشبه السلام .. ويتنفس العالم الصعداء .. ويعود شكري في اوائل عام ١٩٤٧ الى نشر ابحاثه .. فنقرا له في ذلك العام بمجلة « المقتطف » عن « السلام الدائم والحلف العام » و « الحرب تؤدي الى الحرب » ، و « الحضارة واختلاف الطبائع » ..

كما نراه فيما بين اغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١ ينشر في « المقتطف » ايضا كتابا كبيرا في فصول متتابعة ، يعد من اهم كتبه في النقد الادبي .. وقد نشر تلك الفصول الثلاثين ونيف تحت عنوان : « نظرات في النفس والحياة» وكلها بتوقيع : « ع. ش. » تحدث فيها عن نظرات كبار المفكرين مثل جوته ، وبلزاك ، ومارسل بروست ، واناتول فرانس ، وبيكون ، وهازلت ، وابن المقفع .. وغيرهم، بعد ان درس مؤلفاتهم وقصصهم وناقش آراءهم ..

وهكذا قضى شكري سبعة عشر عاما بعد استقالته في بور سعيد، في حال نسبية من الهدوء والعافية والاستقرار فيما عدا الثلاث سنين الاخيرة، حين حدثت الخاتمةالاليمة

وتبدأ خاتمة هذه القصة في مستهل عام ١٩٥٢ وتنتهي بوفاته في اواخر عام ١٩٥٨ ، ست سنوات كاملة في المرض والسأم ، والعزلة والالم ، ووداع القلم ..

ففي يوم من يناير عام ١٩٥٢ — وكان الشاعر يسير في

أحد شوارع بور سعيد ، والناس في شاغل عنه بافراحهم وملاهيهم .. وكان هو ايضا حاملا عتاده، رزمة من الكتب، اشتراها كعادته ليقراها .. واذا به يترنح ويسنده بعض الناس ويحمله الى بيته .. فقد فلج في الطريق وشـل نصفه الايمن بما في ذلك يده اليمنى التي يكتب بها .. وظل مشلولا بقية حياته ..

وقد ارغمته هذه العلة القاسية على تـرك الاشتغال بالادب مكرها ، قراءة وكتابة .. فلم يعد ينظم شعرا او يكتب بحثا .. وانصرف الى الراحة والعلاج .. وزاد البلاء مرضه بالسكري .. فاجتمع الشلل ، الـى مرض السكر ، الى وهن الشيخوخة ، الى السأم والضجر .. وطلب الراحة في الموت ..

واضعف هذا الشلل ذاكرته قليلا ، ولعثم حديثه ، والزمه الصمت .. ومع ذلك ظل الى آخر نسمة فـي حياته ، محتفظا بقواه العقلية ، واخلاقه العالية .. متجملا بالصبر والاباء ..

ولما كان من عادته ان يرد على كل من يكتب اليه او يسال عنه ، فقد راح يتمرن منذ بدء المرض على الكتابة بيده اليسرى غير المشلولة ، حتى لا يكلف احدا عنـاء الكتابة له .. وفي تلك السنوات الست ، كتب بتلـك اليد اليسرى الى بعض افراد اسرته ، والى بعض اصدقائه وتلاميذه الذين راسلوه في اكثر من مائة رسالة وبطاقة ، كانت كلها شخصية ، قلما كان يودعها بحثا عميقا يزيده اجهادا .. ولكنها تصور لنا ما كان يعانيه من الاهوال .. وهي الى جانب ما ارسله الى اصدقائه وتلاميذه وسائليه طوال حياته ، يجتمع منها ، اذا ما عني اديب بلم اشتاتها، كتاب من الرسائل الخاصة التي يهتم النقاد اليوم بدرسها.

وفي شهر اكتوبر١٩٥٥ انتقل الشاعرمن بيته ببورسعيد وذلك قبل ان تخربه قنابل الطائرات المعادية ، وسكـن الاسكندرية نزولا على رغبة اسرته ، واستأجر شقـة بناحية سيدي بشر بالرمل ، ونقل معه نصف مكتبته، ونسق كتبه في خزائنها يداعبها احيانا ولا يستطيع مطالعتها ..

كان يحب الاسكندرية . فيها قضى زهرة العمر ، طالبا صغيرا ، ومدرسا شابا ، وناظرا كهلا .. وبها نظم معظم اشعاره .. ومن مطابعها صدر كل ما نشر في حياته من المجموعات الشعرية والنثرية المطبوعة .. وكأنما استدعاه ثراها ليكون مقره الاخير .

وفي مكتبه بتلك الشقة الصغيرة بناحية «سيدي بشر» كان يستقبل زائريه ، ويجلس معهم مرحبا مصغيا ... وهو لا يبرح عقر داره الا فيما ندر .. وذلك حينما يصفو الجو ، فيخرج متوكئا على عصاه ليشتري شيئا ثم يعود الى صومعته او الى فراشه منتظرا النهاية في اية لحظة . وما برح كدأبه لا يهتم بالشهرة ولا بالنشر ، قدر اهتمامه بالهدوء والسلام ، يقضي في رحابهما بقية ايامه المعدودة ..

وحدث اننا اردنا عام ١٩٥٦ – تكريمـه لبلوغـه سن السبعين . فأبى علينا اي شكل من هذا التكريم ، مؤثرا السكينة والاعتكاف ، موصيا دائما بألا نتحدث عنه او ننشر كلمة عنه او له ، الا بعد موته ، اذا شئنا ..

غير انه وافق مرة واحدة بعد الحاح ، على رغبة احدى المجلات الشهرية بالقاهرة ، هي مجلة « العالم العربي » ، في اصدار عدد خاص عن شكري ، لمناسبة تلك الذكرى السبعينية .. وصدر العدد في ١٥ من مارس ١٩٥٦ ، وبه عدد من الدراسات والصور والذكريات .. فلفت صدوره انظار الكثيرين ، وكان منهم من نسيه ، ومنهم من الشباب من لم يعرف عن حياته شيئـا .. وراح بعـض الادباء والصحفيين يبحث عن بيته ويسال عن اخباره . ومنهم من بدا يكاتبه ، او يطلب ما لديه من مؤلفاته ومقالاته، والرجل في سماحته وطيبته يستقبل كل طارق ، ويرد على كل رسالة ، ويهب كل سائل ، حتى لم يبق لديه عند وفاته مؤلف واحد له ، او مجلة بها احدى قصائده ومقالاته ..

وفي يوم من اواخر عام ١٩٥٦ كنا معه في مكتبه ، وكان الحديث عن بور سعيد .. فأرانا احدى المجلات الاسبوعية المصورة ، واشار الى صورة كانت لاحد شوارع بور سعيد. وقال : هنا كان بيتنا ـ هذا الطلل الذي تركتـه قنابل العدوان .. ثم اضاف : اما ابنا اخي الضابطان البحريان ، فلا اعلم عنهما شيئا ، وقعا اسيرين في الدفاع عن البلاد.. ولزم الصمت ، اما الغرفة الصغيرة فكان جوها يدوي مع هدير البحر بأصداء قصيدته « الحرية » التي أنشدها في الشباب وكان مطلعها :

حسبوك صافيـة الجبين خريدة	تسبي العقول باكحل وسنان :
هـلا رأوك وانت بين معـاشر	وضعوا السيوف مواضع التيجان؟
لا يبلـغ المقهور منـك نصيبه	حتـى يضرج بالنجيـع القاني !

وفي اواخر ١٩٥٨ قبيل وفاة الشاعر ، بدأت بعض الصحف اليومية تنشر على الناس اخبار عبد الرحمن شكري « الشاعر المجهول .. والمنسي .. والمحطم ... » كما لقبته .. واهتم دكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة يومئذ للامر كل الاهتمام وامر بعلاج الشاعر ورعايته وطبع ديوانه على نفقة الدولة .. غير ان القضاء كان الاسبق .. فرحل الشاعر عن هذا العالم في السـاعة الثانية بعد ظهر الاثنين الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ وتحققت بذلك امنيته في الراحة والصفاء والسـلام . كما تحققت احلامه ونبواته ، فلم يمض حتى شهد بلاده تنعم بالحرية والاستقلال بعد جلاء الاحتلال .. وها هي بلاده تكرم ذكراه في كل عام.. وها قد طبع ديوانه بأجزائه الثمانية .. وها هم اصدقاؤه وتلاميذه ينشرون عنه الابحـاث والدراسات والمقالات ، ويعدون عنه الرسائل الجامعية من شتى الجامعات .. ويجدون في وفاء على تخليد ذكره .. ويذكرون بنبوغه القوم الالى جهلوا قدره !

رمل الاسكندرية

نقولا يوسف

ذكرى الكندي

ذكراك يا موطن الامجاد ذكرانا ... تجدد العهد اجيالا وازمانا
وان عصرك بالافكار مؤتلق ... يروي البيان ويوحي الدهر تبيانا
حيث المواهب نحو النور زاحفة ... مذ هدمت من صروح الجهل اركانا
وحيث «يعقوب» يهديها ويرشدها ... بالفكر حينا وبالايمان احيانا

تباركت ثورة بالعلم قد عصفت ... فاصبحت للعراق الحر عنوانا
يمضي على نهجها «الكندي» منطلقا ... كالنور يطلع اشكالا والوانا
وتشرق الشمس من ثغر العراق ضحى ... فيغمر النور «كوفانا» و «بغدانا»
وفي المجالس حشد من عباقرة ... توزع العلم توضيحا وتبيانا
نعم الرسالة صاغتها يد حكمت ... فالبست دولة « المأمون » تيجانا

يا منهل العلم والعرفان ما برحت ... ذكراك تلهبنا حسا ووجدانا
خلدت في الارض تاريخا مآثره ... ما زال في ارج الاخلاص ريانا
ايام كان بنو العباس في صعد ... والعقل ينشد لحن العلم جذلانا
ويوم كان « ارسطو » من مآثره ... يصوغ ـ للمبدع الانسان ـ ديوانا
ويوم « سقراط » يحسو السم عن عمد لكي ... يقدم للاعلام برهانا

يا رائد العقل والتجديد من زمن ... وسيد الفكر ازمانا وازمانا
حررت اذهان شعب كاد من كمد ... يطاطأ الراس للطاغين اذعانا
فأصبح العقل حرا لا يقيده ... حكم يرى الكفر بالتدليس ايمانا
بأبى الغطارفة الامجاد مبدأهم ... بان يصيخوا لدعوى الزور آذانا
ويصبح العبقري الفذ مضطهدا ... يسير في جنبات الارض حيرانا

يا ملهم الفكر والابداع قد زحفت ... اليك ارواحنا شوقا وتحنانا
انا نحييك تقديرا وتكرمة ... وفكرة رفعت للعلم عنوانا
ما انت غير حكيم لم يمت ابدا ... وفيلسوف سما بالمجد بنيانا
انا سنمضي صفوفا لا انفكاك لها ... شيبا تقارع اعواما وشبانا
ما زال ذكرك مقرونا بمعرفة ... وبالجديد من الافكار مزدانا

ابا الفلاسفة الاحرار ما فتئت ... عيناك ترقب هذا الكون يقظانا
حدث عن النوم والرؤيا وعلتها ... وحلل الفلك الدوار تبيانا
والبرد والثلج والبرق الذي حفلت ... به الحياة مدى الازمان الوانا
آمنت بالعلم في جد وفي جلد ... تخذت مضمار هذا الكون ميدانا
ركنت لا تلتوي ذعرا ولا فزعا ... ولا تهاب بيوم الزحف عدوانا

بغداد يا موطن الآساد من زمن ... وروضة الفكر احساسا ووجدانا
كم دولة فيك بالاعلام قد شمخت ... وبالفضائل اياما وازمانا
مرت عليك قرون لا عداد لها ... لثورة الفكر فيها كنت عنوانا
حسب الحضارة اجلالا ومعرفة ... بها تكرم يعقوبا كما كانا

كربلاء ـ العراق ... **سلمان هادي الطعمة**

مع بسكال المفكر الانساني

بقلم جورج سالم

* * *



احتفل في اوروبا مؤخرا بالذكرى المئوية الثالثة لوفاة المفكر الفرنسي الكبير بليز بسكال (١٦٢٣ – ١٦٦٢) والحق ان بسكال عبقرية انسانية فذة ذات جوانب متعددة ، كان لها نصيب كبير من الابداع في كثير من الميادين . فقد عرف بسكال بدراساته العلمية في عالم الفيزياء والرياضيات كما عرف بآرائه الفلسفية ونظراته الاخلاقية وابحاثه الدينية العميقة .

واذا صح ان كل عبقري كبير يظل يقدم للبشر ادبا وفكرا لا تدركهما الشيخوخة او البلى ، فلا يصبح تراثه مصدرا تاريخيا لمعرفة العصر الذي عاش فيه وحسب ، بل يحافظ على جدته واصالته باستمرار ، ويتيح لكل عصر ان يرى فيه صورة لمشاكله وتعبيرا عن بعض تجاربه ، فماذا عسى ان نرى ، نحن ابناء القرن العشرين ، حين نقبل على قراءة بسكال ، وما الذي يشوقنا فيه وقد فصلت بيننا وبينه ثلاثة قرون كاملة ؟؟

لعل اول ما يثير انتباهنا اليوم في ادب بسكال تصويره الرائع للقلق والضجر والملال . واذا كان الادب الحديث حافلا بتصوير الملال الذي يأخذ بخناق الانسان حين يقف امام الحياة والقلق الذي يساور الانسان تجاه مشاكل الوجود فان بسكال كان رائدا في طرح هذا الموضوع الانساني الخطير الذي اصبح اليوم اللحن السائد الشائع في مختلف ما يبدع الانسان الحديث من آثار ادبية وفنية.

وقد حلل بسكال هذا الموضوع الانساني تحليلا رائعا فبحث عن الدافع الذي يحدو بالانسان الى ان يقبل على اللهو ويستسلم له وينفق فيه الساعات الطويلة من حياته ، فوجد ان مرد ذلك الى خوف الانسان من ان يجابه نفسه ، ويلقاها وجها لوجه لانه واجد آنذاك الشقاء والبؤس والتعاسة . ولكن اللهو بدوره لا يلبث ان يصبح مدعاة للملال ومبعثا للضجر وفي هذه الدوامة الروحية يعيش الانسان . ويرى بسكال من ذلك ان سعي الانسان وراء اللهو دليل على شقاء الانسان ، لانه كائن يسعى دائما وراء السعادة ولا يتاح له العثور عليها ، فهو غير راض عن نفسه ابدا ، وغير سعيد بحياته ، الا انه كذلك دليل على عظمة الانسان في الوقت ذاته ، لانه يعمل من اجل سعادة لا يمنحها العالم . ويحلل بسكال ذلك كله في احدى خواطره فيقول :

« حالة الانسان : تقلب ، ملل ، قلق . طبيعة الانسان الحركة ، والسكون التام هو الموت . لا حاجة لان نتفحص جميع مشاغل الانسان ، اذ يكفي ادراجها في باب اللهو ، فكلما حاولت البحث في افعال الانسان المختلفة ، وفيما يتعرض له من مخاطر ومتاعب ... وجدت ان شقاء الناس كله راجع الى امر واحد هو عجزهم عن البقاء في مكان واحد ، ولو كان هناك انسان لديه كفايته للعيش ووجد لذة في الاقامة في داره لما خرج منه لركوب البحر ... ولو انه وجد لذة في بيته لما جرى وراء المجتمعات والملاهي والالعاب ... »

ومن هنا جاء ولع الناس بالضوضاء والجلبة ، ومن هنا كان السجن عذابا مريعا ولذة الوحدة امرا يصعب فهمه. ان في الناس غريزة خفية تحملهم على اللهو والانشغال في الخارج ، مصدرها شعور مرير ببؤسهم المستمر . وفي الانسان غريزة خفية اخرى .. تعلمه بان السعادة في الهدوء لا في الجلبة المتصلة، وتنشأ عن هاتين النزعتين المتضادتين نزعة مبهمة في قرارة النفس ، خافية عليها تحمل الناس على ان يلتمسوا الراحة في الحركة ويتوهموا دوما ان ما حرموا منه من رضى سيتم لهم بعد تذليل عقبات بدت لهم ، مما يقودهم الى الراحة .

على هذا النحو تنساب الحياة كلها : نسعى وراء الراحة بمكافحة بعض العقبات ، واذا تغلبنا عليها ، اصبحت الراحة غير محتملة لما تولده من ملال فلا بد من الفرار من الراحة والتماس الضوضاء .

فالانسان شقي حتى انه يمل دون باعث على الملل ، يمل بفعل طبيعته وبنيته الخاصة ، والانسان عابث وان اجتمعت في نفسه بواعث الضيق كلها ما دامت اقل الاشياء حتى كرة اللعب كافية لالهائه .

كان بسكال يرى ان لا شيء اشق على الانسان من ان يكون في راحة تامة من غير شاغل او عمل . لانه يشعر آنذاك بعدمه وعدم كفايته وعجزه وفراغه ، فينبجس من صميم نفسه باستمرار الملال والكآبة والحزن واليأس

هذه ناحية من نواحي عالم هذا المفكر الكبير ، وثمة ناحية يجدر التنويه بها هنا ، تلك هي دراسة بسكال لوضع الانسان وقيمته والمكانة التي يحتلها في الطبيعة .

لقد كان الانسان شغل بسكال الشاغل ومدار تفكيره وتأملاته ، كان وضعه بقلقه ومصيره يملأ عليه تفكيره ، وقد خلف في تاريخ الفكر صفحات من اروع ما خط الانسان في هذا الموضوع .

يتساءل بسكال : ما الانسان في الطبيعة :

ويجيب بانه كائن ضعيف محدود في وسط عالم لا حدود له ، تائه فيه هو لا شيء بالنسبة للافلاك ولا شيء بالنسبة للمسافات التي بين الافلاك ، نقطة فوق هذا الجرم الكبير الذي يسمى الارض ، والارض كذلك جرم صغير بالنسبة للاجرام السماوية الاخرى ، وان الفكر ليتعب والخيال ليعجز عن تصور هذه الطبيعة اللامتناهية

ليلة في مارس

للشاعر الالماني المعاصر « جونتر أيش » من مجموعته « المزارع البعيدة »

ادخل من الباب ،
القمر كان قبلي هناك .
آه ايها القمر ، يجب ان لا تكون معي !
صمت ولم يتقدم .

هو يسكن ضمن غرفتي
منذ امس ، عندما جئت
انظر اليه ، لاني حزين ،
انا اعرفه في الحزن فقط .

انا لا اشعل مصباحا ،
اجلس في ضوئه .
من خلال النافذة انظر من وقت لآخر ،
القمر لا يعرفني .

هكذا آكل سمكة مذهبة ،
واصب ماء في الكأس ،
الطاولة كالمرج ،
في ضوء القمر ينمو العشب .

الان ستظلم عن قريب ،
وان كان حوالي اواخر مارس .
وبدون معنى تسقط الكلمة علي :
« هو قلب الليل » .

انه اعمى اخرس اصم ،
لا تؤثر فيه الدموع .
يتارجح في الريح ، يتعلق بالاوراق
آه وبوضوئه نفسه يتعلق

ميشال جحا

التي يحاول الانسان ان يتعرفها . « ومهما تضخمت تصوراتنا فتجاوزت ما يمكن تخيله من افضاء لما تمخضت الا عن ذرات بالقياس الى حقيقة الاشياء » واقسى من ذلك صمت هذا الكون الواسع وشعور الانسان بانه مستغرق في هذه الافضاء التي يجهلها والمهلة في وقت معا .

وقل الامر نفسه بالنسبة للكائنات الصغيرة الدقيقة التي يراها الانسان . « انها تظهر له ، كما يقول بسكال ، في ضآلة جسمها ، اجزاء اصغر منها الى غير حد ، وفي تلك الاجزاء اطراف ذات مفاصل ، وفي تلك الاطراف اوردة ، وفي تلك الاوردة دماء .. ولكن الانسان يكاد يكون عاجزا عن ادراك حتى اصغر الاشياء في الطبيعة ، وان من يتأمل ذاته على هذا النحو ينتابه الفزع ، ولا بد له ان يهتف مع بسكال امام روعة الطبيعة في اجرامها المتناهية في الكبر ، وذراتها المتناهية هي الصغر « ان الفضاء اللامتناهي ليفزعني صمته » .

وهكذا فان الانسان يشعر دائما بصغره وضعفه ، انه على حد تعبير بسكال عود قصب ضعيف بل هو اضعف عود ني الطبيعة ، ولا حاجة لان يجتمع الكون كله لسحقه ، فقليل من بخار او نقطة ماء تكفي لذلك .

ومع هذا فالانسان قوي عظيم لانه كائن يفكر ، ومن هنا كان نبله وعظمته ، ان الفكر يمنح الانسان سر رفعته ، انه كائن ضعيف لا شك ولكن الفكر يرفعه . فوق كل الكائنات والطبيعة والفكر هو الذي ينمح الانسان كرامته ، ومرد عظمته الانسان في راي بسكال هي مقدرته على معرفة شقائه . فالشجرة مثلا لا تعرف انها مشقية ، فهذا الفكر الذي يميز الانسان عن سائر الكائنات الحية ويمنحه الرفعة والسمو هو في الوقت نفسه مصدر شقائه والمه لانه يكشف له عن الوجود في رهبة ابعاده فيثير في نفسه الغم اذ يواجه هذا العالم ويبعث فيه الخوف امام سلطان الكون . ومن هنا تتجلى قوة الفكر فهو مصدر شقاء الانسان ورفعته ، فحين يسحق الكون الانسان ، كما يقول بسكال ، يظل الانسان اعظم من القوى التي تسحقه لانه يعرف بأنه يموت ، بينما تجهل تلك القوى ما تقوم به . وهكذا فان الانسان الذي يشكل جزءا من الطبيعة بجسده يسمو بفكره على الطبيعة بل يستطيع بواسطة الفكر ان يجابهها ويتجاوزها ويخضعها .

هذه بعض ملامح من اصالة بسكال ، ونقاط يسيرة من عالمه الفكري الفني الذي وسع عددا كبيرا من المشاكل الفكرية والدينية والرياضية والادبية ، وخلف هذا العالم كله تبرز امامنا صورة بسكال الانسان الساعي دوما وراء الحقيقة المهتم ابدا بالانسان وخلاصه وبؤسه ورفعته المعبر عن قلقه وملاله ، والجاعل من القلب وسيلة للمعرفة .

قال بسكال ذات مرة « لقد بحثت عن كاتب فوجدت انسانا » ولعل هذا القول ان يصح اكثر ما يصح على هذا المفكر الانسان .

حلب

جورج سالم

زكي مبارك

أزمة العصر وقضية الشراب

بقلم انور الجندي

* * *

في ذكرى الدكتور زكي مبارك الذي توفي في يناير ١٩٥٢ يتجدد الحديث عن حياة هذا الكاتب النابغ الذي كان قلمه آية من آيات البلاغة ، وكانت طاقته قوية الى ابعد حد ، حتى انه كان يقضي ايامه ولياليه دون استثناء الاجازات والاعياد في العمل ، بل ان ايام العبور في البحر والاسفار كان يملأها بالانتاج . ولقد اتيح للدكتور مبارك ان يقضي عاما في العراق كان حافلا بالانتاج حتى انه كتب اكثر من خمسة الاف صفحة ضمتها كتبه : ليلى المريضة في العراق (باجزائه الثلاث) والشريف الرضي (جزئين) ووحي بغداد وعشرات من المقالات نشرها في الرسالة والصباح وصحف العراق ولبنان .

ولقد لقيت الدكتور مبارك لاول مرة عام ١٩٣٥ فوجدته مليئا بالحيوية دافقا بالطموح ، وكانت معاركه الادبية — اذ ذاك — تهز المجتمعات والاندية والمحافل ، وكانت مطامحه في العمل الادبي ضخمة ، ولقد استطاع ان يهاجم علمان من اكبر كتابنا هما : طه حسين واحمد امين بعارضة قوية كانت موضع اعجاب امثالنا من الشباب المتطلع في اول مدارج الحياة الادبية .

غير ان زكي مبارك لم يلبث ان دخل في مرحلة التدمير خلال الحرب العالمية الثانية حتى بلغ حالة من اقسى حالات الضعف الادبي والحياتي عام ١٩٤٧ عندما التقيت به مرة اخرى وقد اهتزت القيم والمعاني في نظره فكان يصعد منابر المحافل ليخطب فيضطرب او يغني كلمة كان يرددها دائما بعد عودته من العراق وهي « ليلى يا ليلى » .

وكانت مقالاته في البلاغ — في هذه الفترة — مفككة مضطربة اشبه باجترار الماضي وترديد الذكريات على نحو خال من الاصالة او العمق . وكان ذلك علامة على النهاية التي لم تتأخر كثيرا ..

وكان لا بد لنا وقد بعد العهد بيننا وبين وفاة الدكتور مبارك ولم تعد الحكمة القائلة « اذكروا محاسن موتاكم » قائمة ، وجريا على النهج التحليلي الذي يحملنا على ان نكشف الحقائق في حرية ان ننظر الى الامور في صراحة لنعرف ازمته العنيفة التي اودت به الى النهاية وهو لما يبلغ الستين من العمر .

لذلك كان لا بد لنا ان نقول : هل كان للشراب قصة في حياة زكي مبارك ؟ ذلك هو السؤال الذي نحاول ان نجيب عنه فنقول :

كان الشراب هو الغشاء الذي كان مبارك يغلف به ايامه في سنواته العشر الاخيرة — في تقديري — واذا حاولنا ان نعرف الدكتور مبارك نفسه على ذلك حيث تناول هذا الامر في كتابه « ليلى المريضة » في صراحة وفي اكثر من موضع وربط بينه وبين مذهبه في الاخلاق ودراسة النفس الانسانية .

ومن عباراته تبدو صورة الاحساس بالذنب والرغبة في التوبة وعدم القدرة على التخلص من العادة التي استفحلت وبلغت قرار الاعصاب والمشاعر .

يقول « اريد ان ابحث اسباب الخلاف حول الشراب . هل كنت اول من شرب الخمر . انا نشأت نشأة صالحة في بيت يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة . وكان ابي رحمه الله من اصحاب الاذواق ، ولكنه لم يشرب الخمر ابدا ، وان كان عرف ان له خالين في القاهرة يعاقران الصهباء . وفي المدة التي اقمتها بالازهر الشريف لم اسمع ان من العلماء من يشرب الاثم ، ومنزلنا في « سنتريس » لم يدخل فيه الخمر ، لان ابي رحمه الله لم يكن يتصور ان ذلك من الممكنات .. وهذه النشأة الطيبة كان لها تأثير فياصرت اليه ، فأنا اشعر بأني سفيه مجرم حين اشرب الخمر ، ومن اجل ذلك تكثر وسوستي الخلقية فيما يتصل بهذا المعنى .

الادب العزيز الذي لم يلوث فاه بلعاب الخندريس وهو اخطر من لعاب الافاعي والصلال ، ولكن الادب الذي تلقيته عن ابي لم يعصمني كل العصمة من الزيغ . وكيف انجو وانا اعيش في القاهرة وفي القرن العشرين .

شربت الخمر اول مرة بعد ان اجتزت امتحانات الليسانس في العلوم الفلسفية والادبية سنة ١٩٢١ شربتها مع صديق سخيف لا يستحق ان اغضب من اجله صاحب العزة والجبروت . شربتها مع مخلوق رفيع يتوهم ان شرب الخمر من علامات المدنية .

واعترف بأني كنت اعرق منه في الرقاعة والسخف ، فقد توهمت اني محتاج الى خلع الصبغة الازهرية لاساير التمدن الحديث . والازهري بين حالين اثنين : الفجور او العفاف . ولا يوجد على ظهر الارض اسخف من الازهري حين يتطرف ويختال .

ثم لطف الله بحالي حين وصلت الى باريس سنة ١٩٢٧ فقد كنت اظن ان من واجب اهل باريس ان يشربوا « الابريتيف » وهو شراب ملعون . ولاحظ ذلك المسيو بلانشو حفظه الله فنبهني الى ان « الابريتيف » لا يواظب عليه من اهل باريس غير الاوغاد وان احرار باريس لا يشربون غير البيرة والنبيذ . »

ثم اشار مبارك الى ان اساتذة السربون اقاموا له عام

١٩٣١ حفلا لتكريمه في بهو السربون بمناسبة احرازه اجازة الدكتوراه في الاداب قال « وكان من حظي ان اتناول كاسا من الخمر قدمتها الي حرم المسيو ديمومبين، وحاولت ان ارفض تلك الكاس ولكن تلك السيدة قالت « انت المنتصر ومن حق المنتصر ان يشرب اول كأس » .

ويعاود زكي مبارك هذا الموضوع فيقول انه لم يعرف كبيرة ولا صغيرة قبل الثلاثين يقول « وما اذكر اني فرطت في الفرائض والنوافل قبل الثلاثين ولعل هذا هو السبب في انني بقيت شاب العقل والعاطفة والاحساس بعد الاربعين . ولو ان الله عز شانه كان تداركني برعايته السامية فحفظ حياتي من جميع الشوائب لكان من الممكن ان تصل مؤلفاتي الى اعظم مما وصلت اليه . ودليل ذلك انني لم اذق قطرة من الخمر في الاوقات التي الفت فيها كتاب النثر الفني والتصوف الاسلامي . »

ويهاجم ما اسماه « بالشبهة السخيفة التي تجعل الخمر والمجون من علائم العبقرية » ثم يقول « ان للخمر فضلا واحدا هي انها كدرت حياتي ولو كان الله نجاني من هذا الاثم لكنت اليوم من كبار الوزراء » ويقول « ان من رجال العصر الحاضر من وصلوا الى منزلة سامية في التفكير مع التصون والعفاف . »

ويبدو ان دراسته فقه العراقيين قد فتح امامه طريق «الترخص» في شرب الخمر فهو يعاود هذا المعنى فيقول:

« ان فقهاء العراق اتفقوا على ان الخمر لا يحرم الا اذا عصرت من العنب . وخمرت حتى تقذف بالزبد ، وهم يتسامحون فيما استقطر من الخمر . وانا قد جربت المستقطر من التمر ، وهو العرق فوجدته سيء العواقب» .

ثم يقول « الواقع ان الخمر ام الخبائث ولا يدعو اليها الا رجل مخبول . كنت استطيع ان اضع اوزار الخمر فوق راس فقهاء العراق ثم انجو بنفسي .. وان اقول انهم هم الذين تفردوا بتفصيل احوال الخمر فجعلوا منها ما يحرم وما يباح .. »

غير ان الندم لا يلبث ان ينتاشه فيقول : ان مياه البحر قد تعجز عن تطهير ما جنيت من فتون ، فليكن من همي ان احارب الغواية بقلمي عاما او عامين لالقى الله بوجه ابيض وقلب سليم ، يجب ان اوجه نشاطي الى محاربة الاثم والرجس والغواية والمجون . ما قيمة العلم اذا لم استخدمه في الدعوة الى الفضيلة لاصل به الى نعيم الفردوس ، هل نحمل القلم لنعق الفضيلة ونفسد اخلاق الناس ، هل نحمل القلم لنزين البغي والفسوق » .

ثم يتحدث عن مذهبه في الحب وقد احاطته الشكوك والريب في صحة اتجاهه فيقول « لقد جعلت الحديث عن الحب شريعة من الشرائع . هل احسنت . هل اسات . لا اعرف بالضبط ولكن قلبي يحدثني اني كنت من المسرفين . اتوهم احيانا انني اخدم لغتي بهذه الاحاديث ، واعتقد احيانا اني اهدم الاخلاق بهذه الاحاديث .

احب ان اعرف نفسي فهل استطيع ان اعرف نفسي . هيهات ، هيهات ، لو كنت رجلا فاسقا لعرفت الحدود وانتهيت . ولكني رجل عفيف وهنا تظهر دقة الاشكال . من الذي يصدق انني رجل عفيف وقد ملات الدنيا بالحديث عن طغيان الشهوات » .

ويمضي في اعترافاته فيقول : ان الشيطان مخلوق شريف لانه لا ينافق فهو يعلن في كل وقت انه من الضالين المضلين ، وينادي بأنه لو كشف كل انسان عن سريرته كما كشف الشيطان عن سريرته لاصبحنا جميعا من الملائكة لا من الشياطين » .

ثم تعاوده ازمته العقلية فيقول وهو في صدد الحديث عن ديارات الرهبان « نحن اشقى من سدنة الهياكل واحوج منهم الى واد الهموم في مهاوي الكؤوس .. نحن اشقى الناس لاننا عرفنا بعض ما لا يعرفون ، ساءت احوالنا منذ اليوم الذي تأكدنا فيه ان الرياء سيد الاخلاق ، فمن يبيعني مثقالا واحدا من الرياء ، ويأخذ من اموالي ما يشاء.

انا في ازمة عقلية لو سلطت على جبل راسخ لحولته الى رماد تذروه الرياح . واكاد اصعق من الخوف كلما توهمت انني قد انهزم في محاربة الرياء والنفاق . »

ويصل الى الدروس التي علمتها اياه «الصهباء» فيقول: « وقد اخذت درسا من احد الداخلين في مصر لن انساه ما حييت ، دخلت اشرب في احدى الحانات فلاحظت ان الساقي في غاية من الصحو والعافية ، فدعوته الى كأس فرفض وكانت صحبته ان يلتزم الصحو ليراقب الشاربين»

ويعود الى تصوير نتائج تجربة الشراب فيقول : «كيف فاتني ان انافق في زمن لا يسود فيه غير اهل النفاق ؟ لعل السبب في هذه البلية انني اول دكتور في الفلسفة ني الجامعة المصرية ، وهذه الاولية في الدراسات الفلسفية آذتني اخطر ايذاء ، فقد توهمت انني مسئول عن درس جميع المزالق الاخلاقية لاكون اعظم مؤلف في الاخلاق.. ولقد صرت بالفعل اعظم مؤلف في الاخلاق ولكن وآاسفاه اصبحت مزعزع الاخلاق ، صرت كالطبيب الذي يشرح الاجسام ليستفيد العلم فيخسر الخلق ..

انا اسامر الشاربين لادرس النفس الانسانية ثم تكون النتيجة ان افتضح مع الشاربين . كنت اشرب لادرس الناس فصرت اشرب لادرس نفسي ! »

* * *

وهكذا بلغ الدكتور زكي مبارك غايته في تبرير مقارعته للشراب . وهو في هذا التحليل يتأرجح بين الهدى والضلال ، ويجد نفسه عاجزا عن التحرر من القيد الضخم الذي قيد به نفسه منذ مطالع شبابه .

كتب زكي مبارك هذا بعد ان عاد من بغداد وذلك حوالي عام ١٩٤٠ وذلك قبل ان يتوغل بعنف في شرب الخمر ، على النحو الذي بلغه من بعد ، عندما احس بأنه لا سبيل

له عن معاقرتها صباحا ومساء ، وان يتناولها من ذلك النوع الرخيص في خمارة ميدان توفيق ممزوجة بالكوكا كولا .

واعتقد ان زكي مبارك بعد عودته من باريس سنة ١٩٣٣ واحرازه الدكتوراه للمرة الثانية بعد ان احرزها من الجامعة المصرية القديمة . كان يتطلع الى مكانه في الجامعة والحياة الفكرية المصرية ، غير ان اسلوبه في السجال وتصرفاته التي وصفها طه حسين بأنها غير مصقولة ، وسلوكه الذي كان يعتذر عنه بأنه فلاح من سنتريس ولولا احرازه الدكتوراه لعاد الى صحبة الفأس والمحراث في القرية ، ومعاركه التي حملت الاستاذ الزيات صاحب الرسالة ان يعتذر عنها بأنه « الملاكم الادبي في ثقافتنا الحديثة » كل هذا ربما حال بين زكي مبارك وبين بلوغ هدفه فضلا عن انه لم يكن متصلا بحزب من الاحزاب وكانت المناصب الكبرى في الجامعة ووزارة المعارف قاصرة على العاملين في الاحزاب توهب لهم بعد وصول احزابهم الى الحكم ، كل هذا وما اصيب به زكي مبارك من ابعاد عن الجامعة حينا ومن عجزه عن حصوله درجة لائقة في وزارة المعارف هو الذي دفعه الى الخمر فاتجه اليها في اسراف ، وربما كانت له في حياته الخاصة عوامل اخرى زادت هذا الاتجاه ، فقد قيل ان كانت له زوجة فرنسية ماتت في الحرب العالمية الثانية ، او ان حياته في اسرته لم تكن مثالية على النحو الذي يتطلع اليه فيلسوف وشاعر ، وان ذلك كان مما دفعه الى الكتابة عن الذات او ابتداع الرسائل الوهمية الى عشيقات مثل ليلى المريضة في الزمالك وفي المنصورة وفي اسيوط وهكذا .. وما نشره من فصول بامضاء الدكتور بديع الزمان تحت عنوان « رسائل حب » في جريدة الصباح .

هذا الانفصام في شخصيته بين واقعه في البيت وفي العمل ، وبين الصورة المتخيلة في مجال الحب او المكانة المثلى في الجامعة ، قد دفعته اولا الى الهجوم العنيف على امثال طه حسين واحمد امين وغيرهما ، ثم على وزراء المعارف : السنهوري والعشماوي وغيرهما ثم آلت به اخيرا الى يأس عاصف ارتبط مع محاولة النسيان والغيبوبة عن طريق معاقرة الخمر ، .. وكل هذا كان في نظره من وراء الوعي محاولة لحل مشكلته بالخروج عن عالم الحقيقة، والاستغراق في الصورة الموهومة ..

ولو وجد زكي مبارك قلبا يمده بالعطف ، او رجلا من ذوي النفوذ يرد له مكانته في الجامعة لما بلغ به الاسراف حده في هذا الاتجاه .

ويجدر بالذكر هنا ان زكي مبارك كان قوة فكرية ضخمة، يحملها جسد خصيب « مدرع بالعافية » على حد تعبيره عن نفسه ، وكان قوي العارضة في مجال الفكر ، وقد تحول عن اتجاهه الفكري المرتبط بالغرب الى مجال الدفاع عن التراث العربي الاسلامي والامجاد العربية واللغة العربية وقدم في مجال البحث اثارا رائعة اعظمها « النثر الفني والتصوف الاسلامي » ولو قد امتد به العمر لجاد ذهنه العبقري بآثار اشد قوة وعظمة لولا ان غلبت عليه « ازمة العصر » حين عجزت الحياة السياسية الحزبية في مصر ـ اذ ذاك ـ ان تضعه في مكانه الحق .

القاهرة — **انور الجندي**

وحشة

انا وحدي صامت .. وحدي هنا
انا وحدي في فم الليل .. على
ودمي يلهبه الشوق الذي
والطيوف البيض في احلامها
وانا وحدي ... وفي صومعتي

اجرع الكاس عذابا وضنى ...
مرجل اغفو ؟ واصحو موهنا
فيه ينساب لهيبا وسنا
رفرفت هيفاء في اشهى المنى
مثلما كنت على الدهر ... انا

يا طيوف الحب لا تبتعدي
غائم الفكر ؟ وقلبي يائس
سابح الاحلام في روحي الاسى
هو يبكي حظه في حرقة
ضاع مني في خيالي ... بعدما

انني اقبع في منفردي
كاد ان يطمس لي معتقدي
يتنزى ؟ قائما في خلدي
وانا ابحث عن روح ندي
صفته من خاطري .. من كبدي

الكويت — **راضي صدوق**



عبد العزيز جادو

العقل والمادة

بقلم عبد العزيز جادو

* * *

ان العقبة الكئود التي تقف في طريق التقدم السيكولوجي هي العجز الشائع والقصور المنتشر بين الناس عن ان يفهموا او يدركوا كيف ان شيئا كالعقل في غاية الدقة والرقة يستطيع ان يحكم شيئا فجا ليس على شيء من النقاء بل على كثير من السخف كالمادة .

فلنتأمل المادة اولا وقبل كل شيء . انها ليست كما تبدو . اذن فما هي ؟ . . انها ثابتة وحقيقية ومحسوسة . ولكن مم يتكون ثباتها وحقيقتها ؟ . .

اننا اذا استطعنا الاجابة على هذه الاسئلة ، واذا امكننا ايضا ان نعرف او نهتدي الى شيء يدلنا عن العقل ماذا يكون ، استطعنا ان نفهم جيدا العلاقة بين هذين الشيئين الهامين ، ونعرف فعل او تاثير احدهما على الاخر .

. . ان اي نوع خاص من المادة يتركب من نوع خاص من دقائق صغيرة تسمى « جزيئات » (١) . فهناك جزيئات من الماء ومن الحديد والنحاس ومن الملح ومن الزجاج ومن جميع انواع المادة . وجزيئات اي مادة تختلف عن جزيئات كل المواد الاخرى .

وجزيئات المادة تتألف من دقائق اصغر حجما واقل هدوءا تسمى « ذرات » (٢) . فالجزيء من الماء ، مثلا ، يتركب من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الاكسيجين . وكوب من الماء لا يتأثر باللمس او بالرؤية كالغاز الجاف . ولكنه لا يحتوي على اي شيء آخر . وقطعة من الصخر الصوان او البلور الصخري تتركب من غازي الاكسيجين والسليكون ومع ذلك فهي جامدة ولكنها هشة ، سهلة الانكسار . ولقد كان يستعمل هذا الصوان منذ قديم الزمان في صنع رؤوس الحراب الحادة .

وصلابة المادة تتوقف على درجة حرارتها . فالماء في درجة التجميد يصير ثلجا جامدا هشا ، وفي درجة ٣٣ فارنهيت يصير سائلا ، وفي درجة ٢١٢ فارنهيت يغدو بخارا ، وفي درجة حرارة القوس الكهربي يصير اكسيجينا وهيدروجينا . وينطبق نفس الشيء على اية مادة اخرى . اذا رفعنا درجتها الى اعلى حد ممكن صارت غازات . حتى « الرمل » الذي يتكون منه سطح الارض عبارة عن صخور متكسرة الى قطع دقيقة جدا . واذا رفعنا درجتها الى اعلى ما يمكن تتحول الى اكسيجين وسليكون .

ولقد كانت هذ الارض في ذات مرة حارة جدا ، وكانت عبارة عن كرة من الغازات المتوهجة وكان حجمها اكبر من حجمها الحالي عدة مرات . وحينما بردت تقلصت ، ثم تجمعت غازاتها مع بعضها لتكوّن الارض التي نعيش عليها ، وتجمعت بعض غازات لتكوّن او تشكل جوها .

والجزيء ليس شيئا صغيرا صلبا كالرصاصة الصغيرة او قطعة الرخام الصغيرة . ولكنه مجموعة من الذرات السريعة الدوران والتهويم . بينها وبين بعضها مسافات كبيرة ومساحات فسيحة نسبيا . حتى ان الجزيء نفسه يوجد فيه فراغ اوسع من المساحة المليئة .

نحن اذن نرجع اصل المادة الى الذرة التي تتجمع حشود منها كثيرة وتموج مع بعضها وتدور لتكوّن جزيئات من انواع مختلفة من المادة .

ولنتأمل الان طبيعة الذرة نفسها وتركيبها . . . ان الذرة ، كما قلنا عن الجزيء ، ليست شيئا صغيرا صلبا جامدا جافا . ولكنها شرارة صغيرة جدا غير منظورة من كهرباء موجبة مع شرارات من كهرباء سالبة تدور حولها . وهذه الشرارة او الومضة الكهربية الموجبة التي في قلب الذرة تسمى « بروتون » . والشرارات الكهربية السالبة التي تدور حولها تسمى « الكترونات » . وهذه الشرارات الكهربية الايجابية والسلبية ليست كالشيء الذي نعرف دائما انه « المادة » ، وانما هي ، في الواقع ، « قوة » . ومع ذلك فان كل نوع من المادة الصلبة في العالم تتألف منها . ونحن اذا استطعنا ان نطفيء كل تلك الشرارات الكهربية الصغيرة لامّحت على الفور هذه الارض الصلبة وتلاشت بما فيها وما عليها واصبحت في العدم المطلق .

لقد ظن العلماء الفيزيقيون منذ زمن طويل ان ما سموه « بقاء المادة » كان جزءا من المنهج العام للاشياء . وظنوا ان المادة لا يمكن ان تتحطم ، مع ان شكلها يمكن ان يتغير . فاحتراق كتلة من الخشب ، مثلا ، يمكن ان يغيرها الى اشكال من الغازات والدخان والرماد اذا وزنت جميعها

ياتي وزنها كوزن قطعة الخشب بالضبط . وهذه الحقيقة تنطبق على كل انواع الاحتراق واشكال التحلل العادية الاخرى ، ولكن هناك نقطة لا تتجافى مع الواقع ولا تبعد كثيرا عن الحقيقة .. هذه النقطة تناولت حرارة الشمس الداخلية الهائلة الرهيبة . ان اطنانا كثيرة من مادة الشمس تفنى تماما في كل يوم بمجرد التغيير ، لا الى اشكال اخرى من المادة ، ولكن الى قوى من الضوء والحرارة . وفي استطاعتنا اليوم ان نستغل نفس النوع من الهدم التام او التدمير الكامل للمادة في بعض معاملنا الفيزيقية ، باستعمالنا الحرارة الشديدة وقوة التيار الكهربائي المستمرة العالية .

والمقصود من كل هذا ان المادة الفيزيقية ما هي الا مجرد شكل من اشكال القوة او الطاقة . وليس هذا نفس ما يقال من ان المادة الفيزيقية وهم وخيال او انها شيء غير ذي اهمية . انها صلبة صلدة في غاية المتانة ، ولكنها مع ذلك تتركب من قوة في شكل شرارات كهربية صغيرة . لها وزن ، نعم . وتجتذبها اليها تلك القوة الاخرى التي نسميها « الجاذبية » او القوة الجاذبية ، او قوة تجاذب المادة ، او الجاذبية العامة . فقالب الطوب يتركب من شرارات كهربية ، ولكن اذا سقط ، بقوة الجاذبية الارضية، على رأس فرد من الافراد فانه يتغير او يبعثر الشرارات الكهربية التي يحتويها الرأس . ويمكن القول في هذه المناسبة بانه ما من قوة الا ولها وزن . والضوء شكل من اشكال القوة ، كما ان الحزمة الضوئية لاشعة الشمس المارة بقرب كوكب سيار تميل اليه بقوة الدفع الجذبي للكوكب .

ان هناك ما يقرب من التسعين نوعا من الذرات في الكون . وهناك نوعان اثنان فقط من الشرارات الكهربية تتكون منها : شرارات موجبة وشرارات سالبة .

واخف ذرة هي التي نطلق عليها « الهيدروجين » وتحتوي على شرارة موجبة من الكهرباء مع شرارة كهربية سالبة تدور حولها . والهيليوم (٣) ثاني ذرة في الخفة ، ويحتوي على شرارة كهربية موجبة مع شرارتين من الكهرباء سالبتين تدوران حولها .

لقد كنا نظن في وقت ما ان الهيليوم لا وجود له في ارضنا ، ولكن المطياف (٤) بيّن لنا ان في الغلاف الجوي للشمس غازا لم نالفه قط على وجه الارض واطلقنا عليه « الهيليوم » نسبة للكلمة اليونانية « هيليوس » ومعناها الشمس . وفيما بعد ذلك وجدناه في الارض ، اذ اننا نستخرجه الان من الغاز الطبيعي لنستخدمه في سفن الهواء ، لانه اقرب الى الهدروجين في الخفة ، فضلا عن انه لا يشتمل اذا صادفه وميض برق او اعترضته شرارة .

وفي بعض المعادن او الفلزات الثقيلة ذرات تتركب من شرارة كهربية موجبة مع ثمانين او تسعين شرارة سالبة تدور حولها . ولا يوجد ابدا اكثر من شرارة واحدة موجبة ، ووزن اية مادة خاصة تحددها عدد الشرارات السالبة التي تدور حول الشرارة الموجبة .

اننا نعرف جميعا عن طريق الخبرة والتجارب الكثيرة ان الشرارة الكهربية تزول وتتلاشى بمجرد رفع او ازالة الطاقة المولدة لها . فاذا كانت الشرارة ناشئة عن آلة عضوية فانها تموت بمجرد وقف دوران هذه الآلة . واذا كانت ناشئة عن مولد كهربائي ، فانها تنطفىء اذا ابعدنا القوة عن المولد . واذا كانت ناشئة عن بطارية . اي ان الشرارات تتقطع بانقطاع التيار الكهربي .

والسؤال السديد هنا : ما هي القوة او القدرة التي تغذي الشرارة الكهربية الضئيلة التي تتكون منها المادة ؟ وهذا السؤال يحملنا على التأمل والتروي والى امعان الفكر ...

ان العقل ، كما اسلفنا القول ، موجود في كل مكان . ولقد عرفت السلالة البشرية هذه الحقيقة منذ عدة قرون . كما فهمها ولمسها العلماء والفلاسفة فاطلقوا عليه « العقل العالمي العام » .

وفي السنين الاخيرة للعلم والفلسفة توصلنا الى فهم منطقي وادراك معقول اكثر للعقل العالمي ، ولكننا لم نكن ، حتى وقت قريب جدا ، قد بدانا نستبين ونستشف صفة وقدرة ذلك العقل العالمي الشامل . ونحن مع ذلك لا نعرف عنه بعد الا القليل ، ولكننا نعرف بعض اشياء شائقة وعلى كثير من الاهمية تسلط الاضواء على اشياء كانت خافية عنا ، غامضة علينا ، ثم هي تبشر في المستقبل القريب بكشوف في غاية الاهمية .

ومن الحقائق العلمية التي تأكد منها بعض علماء النفس ودارسو الظاهرات الروحية منذ زمن طويل ، ان تدبير الخلق والتكوين سيكون ناقصا بدون القوة السارية ذات الاشعاع الفاره ، المدرك ، البصير . اما الذي نعرفه عن هذه القوة الهائلة ، فهو في الحقيقة ، يتركز ويتجمع حول اكتشاف القوة المعروفة « بالاشعة الكونية » التي قاسها ودرسها العلماء الاجلاء في جميع بقاع العالم وما تزال الى اليوم تحمل اسم مكتشفها « ميليكان » .

الاشعة الكونية

ان الاشعة الكونية قصيرة جدا ، ومع ذلك فهي ذات اطوال ومسافات عديدة . وهي تختلف عن اشعة الطيف واشعة س بان لها قوة لا حد لها في الاختراق والتغلغل ، وان لها قوة نفاذة هائلة . وهي تصل الى الارض ، وتحطم ذرات الهواء التي تعترض سبيلها وتجري في اجسامنا ،

(١) الجزيء : جزء من المادة يحتفظ بصفته الطبيعية الخاصة وهو يتالف من عدة ذرات او أطمات .

(٢) الذرة او الاطمة اصغر جزء من المادة .

(٣) الهيليوم : غاز شمسي خفيف عديم اللون ، غير مشتعل .

(٤) المطياف : آلة الحل الطيفي لاظهار طيوف الاشعة المنبعثة عن

ولكن لقلتها لا نحس بها بعد أن حجب هواء الجو الاكثر منها . وانها لقادرة على تحطيم وابادة كل ما على وجه الارض من حياة لولا ان غلافنا الجوي يتخذ احتياطاته لمثل هذه الاحوال .

وقوة الاشعة الكونية على عمق خمسماية قدم تحت سطح الارض كقوتها على سطح الارض تقريبا . وقد ثبت علميا ان الاشعة الكونية بها من الطاقة مقدار يقع ما بين ١٠ بليون بليون الى ١٠٠ بليون بليون . فات الكتروني . وان هذه الاشعة ماتاها لا من الشمس ولا مما حول الشمس ولا حتى من مجرتنا نحن ، ولا من اي من ملايين الشموس في نظام مجرتنا . ولكن من خارج هذه المجرة ، من مجرات بعيدة اخرى ... من حيث لا يعلم مصدرها الا علام الغيوب ، الذي ليس لعلمه حدود . ونحن ما زلنا الى الان لم نتوصل الى قياس الاشعة الكونية مطلقا .

وجاء السير جيمس جينز الفلكي الكبير والعالم الفيزيقي بنظرية مؤداها ان الشموس ستفنى ببطء بفناء جوهرها الذي تمده بالضوء والحرارة ، وانها لفي هبوط تدريجي الى ان تغيب في العدمية ، من حيث اتت ، وان دنيا النور وعالم الحياة سيلفهما الظلام .. الى موت .

وتناقش الاستاذ ميليكان مع السير جيمس في هذه النظرية ، وقال ان تحطيم ذرة من المادة في شمس يتولد منها اطوال موجات معينة من الطاقة التي تجتاز اطوال موجات اخرى وتتصادم معها في مكان ما في الفضاء بعيد . وهكذا تتولد شرارات كهربية ضئيلة لذرة جديدة ، وهكذا تاتي الى الوجود مادة حديثة الخلق وتدخل في الشموس . ومن ثم تتراكم في سحب الغبار الكثيفة من السديم « كالمجرة » الذي تتولد منه ، شموس جديدة وعوالم جديدة .

ان هذه الاعتبارات جميعا تنقلنا الى الخطوط الامامية للمعرفة الانسانية فيما يتعلق بالعقل والمادة من جميع النواحي وفي شتى العصور . ونحن بطبيعة الحال لا نعرف الحقيقة كلها ... ولكننا نعرف ان المادة تتألف من قوة تظهر واضحة جلية كشرارات كهربية دقيقة . ولدينا باعث طيب للاعتقاد بان الاشعة الكونية هي القوة الاكيدة للعقل العالمي العام ، الذي تتولد من قوة فعله الشرارات التي يتألف منها ذرات المادة . وطالما كانت المادة صورة من صور القوة ، وكان العقل صورة اخرى من صور القوة ، فالعقل اذن لا بد ان يكون عنده القدرة على تكييف المادة ، تماما كأية قوة عندها القدرة على تكييف اية قوة اخرى . ومن وراء هذه القوى جميعا قدرة عالية عندها خزائن كل شيء ، قدرة عالية حكيمة تدبر الكون وتنظم العالم .

ولا حاجة بنا لكي نذهب بعيدا لنتعلم ان العقل قوة ، ففي استطاعتنا ان نتعلم الدرس من ذات انفسنا .. من اجسامنا .. ونعمل بالآية الكريمة : « وفي انفسكم أفلا تبصرون » .

ان ايدينا واذرعنا تتحرك بواسطة العضلات ، اما هذه العضلات فانها لا تعمل الا اذا استحثها او استثارها فعل . ويطلق الاطباء على هذه الاستثارة او هذا المنبه « الطاقة العصبية » . وان هو الا مجرد اسم ، حتى اننا اذا قلنا ان الشيء الذي يحث العضلات على العمل هو « الطاقة العصبية » لا العقل ، لامكن القول بان الطاقة العصبية هي القوة التي يمكن ان تحكمها وتوجهها القوة العقلية ، ولهذا فان القوة العقلية يمكن ان تكون ، فضلا عن ذلك . القوة الاولى .

وهناك حالات من العقل كالخوف والغضب تعد من القوى الشديدة للغاية فهي تؤثر بشكل خطير على جميع الاعضاء تقريبا بما فيها غدد الجسم (٥) .

العقل الشافي

وهنا نستطيع ان نضع ايدينا على سر جميع الادواء ، وعلى السبب المباشر للشفاء من جميع الامراض والعلل ، بصرف النظر عن الوسائل المستعملة . فالدواء قد لا يشفي وكذلك الجراحة ، وانما الشفاء يجب ان يكون عن طريق العقل الخالق الذي يؤدي عمله ويقوم بالمهمة خلال اجزاء معينة من مخ الفرد . والفرد يمكنه ، تحت قيادة وارشاد وتعليمات علم النفس العلمي الحديث ، ان يعمل قدرا كبيرا بطريقة ذهنية ليساعد على عملية الشفاء حيث تكون النتائج في بعض الاحيان مذهلة للغاية . ولكننا لا نعني بهذا ان نوجه الاهتمام الى القوة الشافية بالطرق والوسائل النفسانية ، وانما غرضي الذي اهدف اليه هو اقامة الدليل على ان المادة ليست حرونا ولا جموحا ، وليست صعبة كما تبدو . وان العقل قوة قديرة ، خالقة ، فعالة لما تريد .

ولنضرب مثلا للمادة في حالة المرونة النفسية او التشكيل النفسي (٦) بـ « الصور الفوتوغرافية للارواح » . فكثيرا مما يطلق عليها صور الارواح نجده ملفقا كاذبا ، ولكننا كثيرا ما نرى صورا من هذا النوع حقيقة صادقة . فاذا كان هناك شخص يجلس في غرفة وطرح في مثل تلك الحالة الذاتية من العقل حتى يرى اي شيء يفكر فيه ، وكان هواء الغرفة مشحونا ببخار ماء وثاني اكسيد الكربون ، سواء أكان من التنفس الناتج عن عدد كبير من الاشخاص او من غليان ماء فوق ركوة من الفحم النباتي ، وكانت الاضاءة في الغرفة جيدة ، فهذا الشخص يمكنه

الاجرام السماوية .

(٥) افردنا فصلا خاصا عن الخوف واثاره وعلاجه في كتابنا «الطريق الى النجاح» عن دار المعارف يمكن الرجوع اليه .

(٦) Psycho-plastic.

(٧) التدويم : الدوران بسرعة .

احلام شاعر

*

عيناك ، والشعر الغافي على روابي النجوم
اشياء تفرقني بالعطر والحب والشجون
تحمل افكاري الحارة الى غابات معانيك الرائعه
اجتاز مفاوزها ، والليل مجنون الرياح
يتعثر بالانساغ في بحر الكون
واماني اليتامى تغني قصائد الصيف
عندما تفتحت لحظاته الدافئة في صدرك يا حلوه
آه . . . يا لعينيك !..
وقلبي التائه في اقيانوسك الغريب
متى تندفع سفني العاشقة نحو خلجانك ؟
تلك التي لم تزل غارقة بألوان الشروق
حتى اذا ما تفتحت ازهارك مع كآبة الليالي
في قلبي الشاعر الخصيب
رأيتني .. ارفع لك تمثالا من الذهب
على مرافىء العالم الكبير !..

دمشق — اسماعيل عامود

في بعض الاحيان ان يحصل على صورة روح ، ويمكن ان يرى بوضوح وجه ابيه او امه او اخيه . ويكون الوجه عبارة عن خليط من الهواء وغاز الكربون وبخار الماء . ولهذه الصورة قدرة على التشكل تكفي لجعل الغلاف الجوي المشبع كاسرا للضوء لدرجة تتيح للعين ان تراها ، كما تكفي ايضا لجعل الاثر المتجمع يسجّل فوق الصفحة الفوتوغرافية .

اذن فالصور الفوتوغرافية « للارواح » انما هي في الحقيقة وفي واقع الامر صورلوجوه طيفية واشكال وهمية يراها الوسيط .

نظرية انشتاين

وهكذا قد ظفرنا بلمحة عن الطريقة الخلابة الخلاقة للعقل العالمي ، انها لمحة خافتة ، خاطفة ، عابرة . وانها حقيقة ، ولكنها لمحة . فهي تخلق الشرارات الكهربية في ذلك الشيء العجيب الذي نسميه « الاثير » او « الفضاء المطلق » . وتدوّم (٧) هذه الشرارات في اشكال من انواع مختلفة من الذرات والجزيئات . وفي شحنة الذرات والجزيئات تقذف بالصورة الذهنية الواضحة لذاتية النبات والحيوان . ومن ثم تتحرك الذرات والجزيئات لتكمل الصورة . تماما كالهواء المحفوظ في المعمل السيكولوجي الذي يتحرك ليملأ الوجه او الهيئة الخيالية التي يراها الروحاني .

ويقول انشتاين ان المادة « فضاء » فارغ بطيء النزول الى ادنى ، وسرعته الطبيعية ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية — وهي سرعة الضوء .. اما اذا زادت السرعة عن ذلك فانه يتلاشى ويصير الى زوال .

وجدير بطلاب علم النفس ان يتطلعوا الى دراسة العقل والمادة من اصدق واوسع مصادرها . وستمدهم هذه الدراسة بالادراك العميق والفهم الدقيق للحكمة المذهلة والقوة النابضة في انحاء الكون جميعا ، تلك القوة وتلك القدرة التي تصطخب في كيانهم . وستجعلهم يعرفون ان العقل هو الجوهر الازلي والقدرة الابدية ، السرمدية . ولان هذه الدراسة هي التي تحدد معالم الطريق الى حياة افضل واسعد وارقى ، واكثر خصبا ووفرة .

والفرد لا يمكنه ابدا ان يدرك او يتأمل او يفكر في المنهج الحكيم العجيب للاشياء في هذه الحياة ما لم يكن على وفاق تام مع الحكمة السرمدية خلف المنهج الذي سيكون له الاثر الفعال في توجيهه صوب الانطلاق والتحرر من ربقة الاشياء التي تقيده وتستبعده وتخيب امله وتحبط مسعاه .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

مد يده المرتعشة اليها ، وناولها ورقة بيضاء فيها حروف سوداء اخذت تتراقص في عمق دهشتها .. ولمح في عينيها مزيجا من الخوف المبهم والتساؤل الحائر ..

وخيم الصمت لفترة احست بها ثقيلة على صدرها الذي اضطرب وتسارعت انفاسه تخدش سكوتهما الذي جثم على جو الغرفة الخانق وغاصت نظرته القاسية في انفعالها المبهم .. ترى ! ماذا ستقول حين تقرا مضمون الرسالة ووحشية الكلمات ؟ ..

منذ اسبوع وهو لم يعرف للراحة معنى .. اسبوع بدقائقه المشلولة وساعاته الطويلة كدهور يتراقص تعدادها عبر زمن طويل بعيد .. يا لتلك الساعة المشؤومة!.. حين مد الخادم يده وناوله ذلك المظروف اللعين .. ندى .. ندى زوجته الحبيبة .. ندى الطاهرة البريئة يتكلمون عنها ويصمونها بنعوت لا يستطيع تحملها .. كيف يفعلون ذلك ؟ . وكيف خطوا له تلك الرسالة ليفجعوه في اعز ما يملك وفي اغلى ما يحب ؟ آه ؟ .. كيف يلطخون جبهة حبيبتي بالوحل؟ .. كيف ؟.. كيف ؟ .. ولكن لعلني مخدوع ساذج .. لعلها كما يقولون .. على كل سأرى .. وسأتحقق ..

ويتسارع لهاث ندى .. وترتعش الرسالة بين يديها فتسترق نظرة الى وجه سالم المتقع اللون ، وتعود تدفن حيرتها وعينيها بين الحروف.. ويفاجئها دوار يدفع بريقها الى حلقها .. فتتحسس رقبتها وتتجلد وتضيع الكلمات وراء حروف تبهت ثم تعود الى الوضوح .. يجب ان تكمل كل ما جاء في الرسالة .. يجب ان تخرس الاجراس الوحشية التي تطن في اذنيها وتحيل وجودها الى عذاب وجحيم ..

ثم تعود وتشحب المرئيات والرسالة امام عينين مجهدتين .. فترتمي اليد النحيلة المتشبثة بالرسالة الى الجانب .. وتغيب ندى في دوامة هائلة من التساؤلات ؟ ..

ترى! من هو كاتب هذه الرسالة؟.. من هو المجرم الآثم الذي يمد معوله ليهدم لها بيتها هذا ؟ ... من هو ذاك الذي يحاول ان يدس السم في حياتها وحياة زوجها ؟ ..

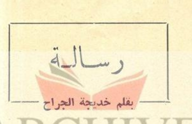
ويثقل الصمت ويثقل .. ثم يقطعه الزوج قائلا :

ـ ماذا رايت ؟ .. وماذا ستقولين؟

فتصمت وهي تحس بآلات حادة تجرح قلبها واعماقها ..

ثم يعود الصوت الاجش :

ـ ماذا .. ماذا .. لا تصمتي .. دافعي .. قولي اي شيء ..



وتهمس بأسى :

ـ ماذا اقول .. ليس لدي ما اقوله ..

ـ انهم صادقون اذا ؟ اهذا هو جوابك ؟ .. اذا انت تحبين .. هل لك عشيق وتتباهين امامي بصدق ما يقولون عنك ؟ ..

ـ يقولون .. يقولون .. دائما يقولون ! .. دلني على انسان لا يتكلم عن احد .. قل لي من هو الذي تشغله نفسه دون سواها ؟ .. كلهم ينظرون الى غيرهم ويعمون عن ذواتهم وافعالهم .. ليقولوا ما ارادوا .. ليكتبوا ما يشاؤون .. انا اشرف منهم واسمى من قلوبهم ومن دناسة اقلامهم ..



وينفعل الزوج الغيور ، ويرغي ويزبد ، ويصب حنقه في كلمات قاسية لم تسمعها ندى .. بل لم تحاول فهمها .. وتظل على وضعها ، الرسالة ملقاة في يدها المتراخية ، وعيناها تجولان عبر النافذة الى البعيد ، تحاول ان تستكشف بين خلايا دماغها عن صورة لانسان ما .. انسان تعتقد انه يكرهها ..

ليس لها اعداء .. تحب كل الناس ويحبها الكل .. تدفع من هناءتها الشيء الكثير في سبيل اسعاد انسان ما ، وتقنع فرحة ببسمة تحصل عليها طالما انها ترضي اعماق ذاتها في رضا الغير ..

أتراها امراة ظالمة تدخل حياتها عن طريق زوجها ، فتدفعها الغيرة الى هدم بيته ليلجأ اليها ؟ ... أم تراها دفعت بعينيها في نظرات بريئة الى انسان مجهول فتتبعها محاولا دخول حياتها بصورة غير مباشرة ؟ . ترى؟. ترى ؟ . آلاف الاسئلة جالت في خاطر ندى ، وهي في استلقائها المتراخي والرسالة في يدها ، وعينا زوجها تنغرز في وجهها كأسهم من نار ..

ويعود الزوج الى اسئلته :

ـ ماذا قلت ؟ .. انهم صادقون اذا ؟ ..

ـ نعم انهم صادقون .. انا احب .. احب انسانا لن اتخلى عنه ما دام في عرق ينبض بالحياة ..

ـ واين رايته ؟ ..

ـ رأيته في بسمة كلها صفاء وفي حلم عذراء تعرف الخفر .. رايته في ندى اقحوانة وفي رقة نسمة مسافرة الى حبيبها يقتلها شوق اليه .. وتهمس لنفسها :

رأيته في ظلم الانسان وفي قساوة القدر ..

ويزمجر الزوج غاضبا :

ـ كفى .. كفى شاعرية وغزلا فاضحا يا خائنة ..

ـ خائنة .. نعم انني خائنة .. انا اخون نفسي كما خانها غيري .. اخون

أرادتي .. اخون كرامتي ولا اثور لها.

— أين اجتمعت به ؟ ..

— وضعه القدر في حياتي .. تسلقت اليه في محرابه .. هويت في طريقي الى واديه .. رتعت في مرابعه الغالية .. هرعت الى ذراعيه الدافئتين .. ويغلبها انفعال وغلالة من الدموع تغطي محجريها .

— ما هذا يا ندى .. اتجيبين على كلامي ام تهذين ؟ ..

— أهذي .. انا لا اهذي يا سالم .. انا صادقة .. قلبي هو الذي يتكلم ويجيبك .. نفسي تتأوه .. روحي تحلق في نبل حبي .. الحسرة أتعبتني وظلم البشر يعذبني ..

— ندى ! اجيبيني بصراحة .. ما اسم غريمي هذا .. لقد فقدتك وفقدت ذاتي .. قولي لي من هو .. سأذهب اليه .. سأنتقم منه سأعذبكما وسأحطمكما معا .. قولي .. اجيبي؟

— هل ادلك على حبيبي .. أتريد ان ارافقك الى دربه وامد يدي مشيرة اليه واقول لك : هوذا .. انك تطلب مني طلبا فوق احتمالي وطاقتي .. لا .. لا .. لا استطيع ..

ويقف سالم وقد تملك منه الغضب ويندفع الى ندى يحاول ان يضربها .. فتقف في وجهه متحدية وهي تنظر اليه ببرود وهدوء اعصاب .. وترمي بالرسالة امامه وتخرج من الغرفة ..

ويدور سالم في الغرفة الفارغة ويدور .. ويتمنى لو تنشق الجدران ويضم العالم كله في قبضته ليسحق ما تضم اصابعه الغاضبة .. القوية .

اذاً لا تحبه .. تحب سواه .. وبكل بساطة تصف حبها وتقديسها لذلك الحب .. يا للنساء ! .. كم هن ماكرات خائنات .. لعن الله حواء!

غدا سأطلقها واتخلص منها .. لا .. لا .. سأعذبها .. سأحرمها منه ومن الاتصال به .. لعنها الله .. ولعنه معها ..

ويتناهى الى سمعه صوت موسيقى ناعمة تنبعث من الغرفة الثانية ..

ويثور غاضبا أكثر فأكثر ، فيهرع الى غرفتها ويطوّح بالمذياع من مكانه الى الارض .. فيهدأ الصوت ويقف مبهور الانفاس امام وقاحة زوجته وتحديها له .. فتغادر ندى الغرفة الى غرفة اخرى تاركة سالم يغلي في مرجل غضبه المتراكم .

ويغلي سالم في مراجل الغيرة .. كيف ينتقم لشرفه ؟ .. كيف يقتص من ندى ؟ .. كيف يتعرف على عشيقها ؟ .. كيف .. وكيف .. والف كيف تزعق في سمعه وفي حنايا تفكيره ..

وترتمي الشمس على صدر الافق مودعة .. تاركة حسرات واحزانا في قلب الزوج المحطم ..

ويبدا غبش المساء يندفع الى رؤيا سالم .. ويأوي عصفور اليف الى حديقة البيت لينام فيها آمنا هادئا .. ويعذب الصمت سالم .. يريد ثورة تندلع نيرانها في لهيب اعماقه .. يتمنى ان تمتلىء الدنيا بالصخب والضجيج .. ويهرع الى الشارع يبحث فيه عن نفسه الضائعة. وتبتلعه الدروب وهو يفكر .. ويفكر. ماذا عليه ان يفعل الآن ؟ .. تتشاجر قراراته المبعثرة ولا يستطيع الوصول الى حل يحس معه بالراحة .. ويدخل حانة تغص بالتعساء امثاله لينسى نفسه في كأس من الخمر يفرغه في جوفه الذي يرتع في لهيب نار محرقة .. ويغيب يوم في اعماق الزمن ..

ويلحق بندى في اليوم التالي وهي تخرج من البيت دون ان تعلم انه كان مختبئا في زاوية الشارع الغافي الذي يضم بيتهما المهدد بالخراب ..

وتسير ندى شاردة من شارع الى شارع حتى تصل المكان الذي تقصده وهو وراءها .. وينتظر لحظة ريثما تستقر في البيت الذي دخلته ويسرع ثائرا الى الباب يطرقه ويدفعه بمنكبيه القويين .. وينفتح الباب ، ويطل منه وجه عجوز عقلت الدهشة لسانها ..

ويندفع كالفاقد عقله يبحث في المكان عن زوجته .. ويقف جامدا ازاء منظر شل عزمه .. زوجته تعانق شابا يقاربها في العمر .. ويصرخ سالم هادرا :

— ندى ..

فتلتفت ندى الى مصدر الصوت وقد اخذ منها الفزع كل مأخذ ويهمس الشاب الاعمى :

— من هذا يا ندى ؟ ..

فيصرخ سالم :

— انه زوجها يا مجرم ! ..

ويحاول سالم ان يهجم على الاثنين معا .. لكن يد العجوز تمسك به وتقول :

— اهدأ يا سيدي .. انا سأقول لك كل شيء ..

وتهمس بأسى :

— انه ابني .. وندى اخته .. هذا هو سر ابيها الراحل .. كان كريما معي ويحبني لكنه لم يستطع ان يتزوجني لئلا يفجع ندى وامها في علاقتنا معا .. وهذا الشاب ابني وابنه .. فقد عينيه في الخامسة من عمره اثر مرض لم تنفع فيه علاجات الاطباء وحين اعوزتني الحاجة بعد ان فقدت اباها سألت عن ندى واهتديت اليها وقصصت عليها سري وسر ابيها . وها هي كما ترى تتردد علينا لتساعدنا بعطائها الخير وتكفر في الوقت نفسه عن خطيئة ابيها ..

ويهمس سالم :

— ندى .. حبيبتي .. لمَ لم تشركيني في همومك واحزانك ؟ ..

فتجيبه ندى :

— حاولت ان ابقي لديك صفحة والدي نقية طاهرة .. ويتعانق الجسدان .. وتتحد الشجان .. وتغيب قصة رسالة ظالمة بين ثنايا قدسية حب يسمو عن دناءة البشر وشرورهم واثم افعالهم ..

دمشق — خديجة الجراح



داود عمـــون

ديوان شعر – جمعه وحققه وكتب سيرة الشاعر : يوسف ابرهيم يزبك – تقديم سعيد عقل – ١٤٠ صفحة – حجم كبير – منها ٨٣ صفحة سيرة الشاعر بقلم يوسف ابراهيم يزبك – منشورات اوراق لبنانية في الحدث بلبنان – مطابع مؤسسة الجمهور ببيروت

في مثل هذه الايام ، قبل اثنتين واربعين سنة ، كانت دير القمر في فترة من الغبطة والهناء كادت تنسيها بعض مضاضات الالم المادي والمعنوي التي جرعتها طوال الحرب العالمية الاولى . ذلك ان اماني اللبنانيين بارجاع اراضيهم المسلوخة في القرن التاسع عشر كانت قد تحققت وشيكا ، اذ اعلن الجنرال غورو ، في اول ايلول من السنة ١٩٢٠ ، دولة لبنان الكبير ، تنفيذا لموافقة مؤتمر الصلح العالمي ، المعقود في فرسايل ، على قرار مجلس ادارة لبنان المتخذ في جلسة تاريخية عقدها في بعبدا في التاسع من كانون الاول ١٩١٨ . وكان يزيد في غبطتها ما كان يتهامس به في اجوائها من ان ابنها البار ، ونائبها السابق في مجلس الادارة ، داود بك عمون ، سيعهد اليه في منصب كبير من مناصب الدولة الناشئة .

ولم يلبث الجنرال غورو ان عين مجلسا اعلى لادارة شؤون لبنان ، مؤازرا للحاكم الفرنسي ، عرف باسم « اللجنة الادارية » . ولم تلبث هذه اللجنة ان انتخبت داود بك عمون رئيسا لها . فاحتل ارفع مركز وطني في دولة لبنان الكبير . ومن الطبيعي ان يغتبط مواطنوه الديارنة ، وان يلتفوا حوله بآيات الابتهاج ، ولا سيما في تلك الليالي الساهرة الي كان يحييها في بيته الصيفي بدير القمر ، مستريحا في اواخر الاسبوع خاصة من مهام الحكم ومشاكل السياسة . فتتحول مجالس حافلة بمباريات الشعر ، وحلقات الزجل ، وافانين الالعاب والرقصات التقليدية ، وكانها صور سابقة لحفلات الفولكلور المتعددة في ايامنا هذه . ويزيدها اندفاعا في شكر الرئيس انه سعى ، وقد اخذت الحكومة تحوّر في التقسيمات الادارية في لبنان ، في توسيع حدود قائمقامية دير القمر وتكبير رقعتها . فكان لنا دير كبيرة كما كان لنا لبنان كبير .

وكان من الطبيعي ان يشارك الصفار الكبار في هذه الحفلات ، وان يكون لهم نصيب خاص من الابتهاج العام ، فيتنادى عدد منهم ، ممن اتاح لهم الحظ ان يعودوا الى مقاعد الدراسة بعد سنوات الشؤم ، ويأخذون في اعداد رواية تمثيلية يلفقها واحد منهم مستغلا مطالعاته الكثيرة لقصص القدماء والمحدثين معتنيا باخراج المشاهد الوطنية الحماسية ، مدخلا فيها عددا من ابيات النونية الشهيرة لداود عمون، التي كانت على كل لسان في دير القمر، ولاسيما البيتان الاخيران:

يا بنـي امـي ، اذا حضرت ساعتي ، والطـب اسلمني
اجعلوا فـي الارز مقبرتي ، وخـذوا مـن ثلجـه كفنـي !

وتبلغ التمثيلية منتهاها من الاعداد والتمرين ويبلغ الطموح بالصفار الى ان يحلموا بدعوة الرئيس الى ترؤس الحفلة ، فتحملهم الجراة الصبيانية الى بيته . ويحمله عطفه علــى ناشئة الدير الى احسان وفادتهم ، وووعــدهم بحضور الحفلة .

ولا تسلوا عن حرارة الاستعداد . فالزائر كبير ، والحفل كثير . وينبغي ان يكون الاخراج على أتم ما يمكن من الدقة والاتقان . وينبغي استقبال الرئيس بخطاب رائع . وينبغي ان يبدأ الخطاب بابيات من الشعر جريا على ما كان هؤلاء الصفار يسمعون حولهم في خطب المقرظين والمادحين ، والمهنئين ، وسائر بلغاء المناسبات .

فكيف العمل ، ولم يسبق لاحد منهم ان نظم او خطب ؟ وتأبى انفتهم ان يلجأوا في ذلك الى الكبار . فكان ان انفرد احدهم الى نفسه اياما طويلة ، دائبا مجتهدا حتى أعد خطابا لائقا استهله بابيات نظمها على غير عهد بالشعر ، ولا معرفة باصول العروض والقوافي . ولكنها الحماسة الفتية ، وتذكر المفردات الجارية في مثل هذه المناسبة واستغلال المقارنة بين لبنان الكبير ودير القمر الكبيرة ، مقرونة بجرأة الاربعة عشر عاما ، وسذاجتها في تقديرها المصاعب والعقبات . واذا به يقف امام ذاك الحشد صائحا :

اهـلا وسهـلا بالذيـن تفضلوا كرما ، واحيوا ليلة الانس الانيس
وتلطفـوا بحضورهـم في حفلـة كانوا لعقـد نظامهـا الدر النفيس .
فليحي لبنـان الكبير بديركم ! ولتحيي ديركم الكبيـرة بالرئيس !

واذا بالتصفيق يملا ارجاء المنتدى . واذا بالرئيس يلفت نظره هذا الخطيب الناشىء .

ويباشر داود عمون ، في فترات استراحته بدير القمر ، زيارة اصدقائه ومريديه . فيفاجىء الخطيب الصبي في احدى هذه الزيارات وبيده كتاب شعر يطالعه باهتمام . فيسرع الولد الى تحية الرئيس باحترام بالغ ، ثم يهم بالانصراف عن المجلس الى حيث يكون اترابه بمعزل عن الرجال الكبار . ويتناول الرئيس الكتاب . واذا به ديوان اسعد رستم . فيبتسم ابتسامة خفيفة ، ويكون قد رمى بطرفه الى خزانة كتب في ناحية من المجلس ، فيقول للفتى : « هات ذاك الكتاب البرتقالي » . ثم يناوله الفتى مفتوحا ويقول : اقرأ في هذا ، واحفظ واذا بالكتاب : « العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب » . ومنذئذ اخذت تتكون في ذهنية ذاك الفتى ملكة ذوقية خاصة بالشعر الاصيل الرصين ، الآخذ بفخامة التركيب ، وجزالة النحت ، وشدة الاسر ، وقوة التعبير سواء أكان جاهليا ام عباسيا ام معاصرا . ومن هنا تذوقه لشعر عمون خاصة ، وهو النموذج العصري الرائع لذلــك الشعر العربي الاصيل .

ذكريات قديمة اثارها كتاب جديد جلا صفحة رائعة من تاريخ لبنان ، ونشر سفرا قيما من شعر لبنان .

اما صفحة التاريخ فهنيئا لنا شئنا استجلاؤها امثولة رائعة في الخدمة اللبنانية الدائبة ونموذجا ساميا في متانة الخلق ، ونزاهــة التجرد ، واستقامة الصراحة ، وصفاء الاخلاص ، وصدق الايمان الوطني

واما سفر الشعر فها هو يفتح ، على قلة ابياته ، آفاقا نيرة مــن التاملات الانسانية العميقة . يتناول فيها بعض المعضلات الاجتماعيــة الدائمة دوام البشر . كالحرب والسلم ، واساليب الحكم ، وعلاقــة السائس بالمسوس ، وتكاليف الحياة وما تتطلبه من صادق العزم ، وثابت النية وماضي الاقدام ، على الخلق الباسل ، والعود الصليب :

عـذيري مـن خلـق باسل أحدّ وأمضى مـن الذابل ،

صليب على القسر ، لا يلتوي، حديد قوى النفس ، ذو همة
اذا غمزته يد الناقل : تضايق في جسد ناحل .
وأورثنيها فتى مائل ، وأورثها لفتى مائل .

وينبغي القول ان الشاعر الذي « لا يرتضي الشعر له حرفة » ، لا يعرض لهذه المعضلات عرض المتفلسف المتحري ، ولا عرض الشاعر المفتش عن الموحيات . انما هي تعرض له عابرة في تطورات الاحوال وتقلبات الزمان . فيبلوها اختبارا ، ويستوقفها اعتبارا ، حتى يتخذ منها الحكمة الخالدة والمثل الباقي على الدهر . واذا برأيه الجامع المانع يتمثل شعرا سويا مصكوك الابيات صك النقد الصحيح ، مرصوف المقطعات رصف البناء الركين في حجارة سليمة المقلع ، صلبة المكسر ، صادقة النحت ، دقيقة الصقل ، تبرز واجهة رفيعة السمك ، رائعة المجهر ، على تساوق اجزائها ، وترابط اقسامها ، وانسياك حجارتها وجها لوجه . فلا كلس ، ولا ملاط ، ولا تحشيات ، ولا روادف . يرويها الينبوع الجاهلي الاصيل ، المترقرق خلل العصور ، على صفاء الرواء ، ونبض الحياة ، ولا يشوبه وهن الدخيل ، ولا يفت فيه ميع المولد والمحدث . فهو القديم الحديث ، وهو الشعر الخالد . وكيف لا يدور على ألسن هواة الفن الكامل ، وكيف لا يتداوله رواد الادب العربي العريق ، وكيف لا ينعم به ذواقو النحت الصخري في التحف الرائعة قوة وشموخا ، الحاملة في كل مظهر من مظاهرها اثر الانتصار على صعوبة ! وكان صرامة خلقه في مجاري الحياة ، وثبات عزيمته في اقتحام مظاهرها ، ولذة اغتباطه بالانتصار على عقباتها ، رانت على عمله الفني ، فعمد الى عمود الشعر السامي في صراط صاعد شاق ، متنكبا عن ليانة الرواسم والقوالب ، مشيحا عن سهولة الاوزان والقوافي .
وكيف لا يهتف حافظ ابراهيم « برب القريض » ، وقد اعاده الى عبقرية عكاظ :

وان قلت أصغت ملوك الكلا م ، ومالت اليك بأبصارها ؟
وان ضمائر هذا الوجو د تبوح اليك بأسرارها

وكيف لا يعايشنا هذا الشعر في متقلب احوالنا : طموحا مقدما حتى المغامرة :

اذا شاقني الامر صعب المنال ، مضيت ، ولو انه قاتلي !
وان حال من دونه حائل ، مشت أخمصاي على الحائل !

وحبا وطنيا جارفا حتى تحمل العار ، عهد القول للجهال والراي للاغرار، فالتاسي بذوي الهم من الذين عاندهم الدهر :

أحب بلادي على رغمها ، وان لم ينلني سوى عارها ،
ولست بأول ذي همة تصدى الزمان لانكارها .

وتهربا من مرارة الواقع في كهولة الزمن الى ذكرى الشباب :

سلام عليك ، زمان الشباب، ربيع الحياة بآذارها ،
لأنت مخفف احزانها ، وانت مسوغ اكدارها ،
ولولا الشباب ، وذكرى الشباب، لعاش الفتى عمره كارها !
قطفنا الحياة به حلوة ، وقد جاء ابان امرارها .

وثورة على استبداد الفرد يرهق الشعب بالحروب :

والسلم اشرف للملوك من الحرب الزبون نتاجها شؤم

وبالمظالم المتعددة يسندها بعض الملوك الى قدسية حقوقهم ، فيستغلتون من قيود الدساتير ، واذا :

نفوس الرعايا واعراضها ، وارزاقها ، أكلة الآكل
ولو عقلوا قيدوا نفسهم ، ومن لك بالمطلق العاقل !
حقوق الملوك بتقديسها دعاوى على الحق للباطل
هم الاجراء ، وان توجوا ، عليهم لنا عمل العامل

وما ميز الله اشخاصهم بشيء ، ولكن رضي الخامل
واباء مترفعا عن الصغائر ، مضحيا الا بالشرف والكرامة :

انا ، ما يسلم عرضي ، سالم شامخ الانف على كل حسود .
انا من قوم صلاب عرفوا بمضاء العزم في الخطب الشديد
عركوا الدهر بشطريه ، فما غيرت منهم نحوس او سعود
انا لا احسب نفسي سيدا غير اني لست ارضاني مسود .

واشادة بمفاخر لبنان :

حبذا المصطاف في جبل ينطح الجوزاء بالقنن ،
موئل الاحرار من قدم وأباة الضيم من زمن
ليس لبنان لمكتسح بضعيف العزم ممتهن
سل ملوك الروم كيف غدا عرشهم مستوهن الركن
علم الاهلون جيشهم فن نظم النحر باللدن .

وكيف لا نتمنى لناشئتنا قراءة هذا الديوان ، بل تدارسه وحفظه وتداوله والتمعن فيه ، حتى يتحول الى كيانهم ، فيعيدوا السابقات من المجد والعلياء للوطن .

فؤاد افرام البستاني

●

سلامة موسى وازمة الضمير العربي

تأليف غالي شكري – ٣٤١ صفحة – مكتبة الخانجي بالقاهرة – (اسم المطبعة ؟)

تهيبت لقاء كثرة من اعلام الفكر في يومي ، وما زلت اتهيب لقاء البقية الصالحة الباقية منهم ، فهم بالنبوة موصولون وبالفكرة الازلية معتصمون وبجوهر الحياة ملتقون . اما سلامة موسى فما تهيبت لقياه قط منذ عرفته وانا اطلب العلم في الجامعة الى ان ودعته بقبلة بنوية في فراش موته بعد نحو عشرين عاما . فقد كان ، على علمه وفضله ، مطبوع الوجه بشاشة جيل تطرد الهيبة من النفس ، يبدي في حديثه وفي مسلكه من بساطة الروح ووداعة القلب وصدق العاطفة ما يهون على المرء ان يستجيب لمودته استجابة عفوية ، فيصافيه الوداد ، ويجزل له الحب ، وينجذب اليه بسحر لسانه وجلاء ذهنه .
ولهذا تكوكب الشباب حول سلامة موسى ، يانسون الى قلبه قبل ان يانسوا الى عقله ، وسرعان ما يصبح قلبه وعقله توأم انس . يتصدر المجلس في غير صدارة ، ويعلم في غير استاذية ، ويهذب النفوس والعقول في غير ادعاء ، ويلقي بين السامعين بالفكرة الجديدة وكانها غير جديدة ، ويقود النقاش لا بخطب منبرية رنانة بل بلفتات ذكية تقدح زناد الفكر ، فاذا الجماعة كلها مبهورة بالعلم مفتونة بالحقيقة .
وحين تنفض مجالس السمر الموسوية تنطلق قوى التفكير عند الشباب مناقشة لتلك الاراء بين تقبل ورفض وشك . فقد وصف سلامه موسى نفسه ذات مرة بانه شبيه بذبابة سقراط ، تقلق وتنبه وتوقظ ، وما اكثر ما اقلق وما اكبر دوره في ايقاظ النائمين وتنبيه الغافين .
ولم يعدم غالي شكري سبيلا للقاء سلامه موسى الذي كان يحتفي بالشباب ، يفتح لهم بابه وقلبه ، ويفسح لهم صدره وصبره ، ويعطيهم من اهتمامه وعنايته ما يشدهم اليه والى الفلسفة الجديدة التي نصب نفسه داعية لها اكثر من نصف قرن . وقد التقيت بدوري بغالي شكري للمرة الاولى عند سلامه موسى ، ثم التقيت به في مناسبة تأبينه ، وباعدت بيننا الايام لا القاه الا من خلال كتاباته في الدوريات الادبية واغلبها عن سلامه موسى ، حتى سعدت اخيرا بمطالعة كتابه عن هذا

الرائد الانسان ، وفاء منه له ، وولاء لذكراه ، واسترشادا بمبادئه ، واذاعة لارائه ، وذيادا عنه من الهاجمين والمتهجمين ، ومناقشة لافكاره من خلال زحام الافكار المعاصرة والغارطة .

وكتاب « سلامه موسى وازمة الضمير العربي » ليس ترجمة لحياة سلامه موسى درجت على المنهج التقليدي في الترجمات ، بل هو تقييم لحياة هذا المفكر العظيم من واقع ارائه ، وابراز لاثره الفكري في انهاض الجماعة علميا وعمرانيا وحضاريا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا وخلقيا. ولهذا يفتقد القارىء في هذا الكتاب كثيرا من التواريخ والحقائق المتعلقة بحياة سلامه موسى ، ولكن ما اغناه عن ايرادها وقد اوردها سلامه موسى في كتابه العظيم الموسوم « تربية سلامه موسى » بصراحة وصدق قاطعين . فالكتاب الجديد لغالي شكري مستقل كل الاستقلال عن الترجمة الذاتية لسلامه موسى ، كما انه ، على حماسته في تأييد سلامه موسى ، لم يؤيده « ديماجوجيا » غوغائيا بالتصفيق والهتاف ، بل ايده بمناقشة ارائه وتبيان منزلة تلك الاراء من درجات الصواب ونسب القبول .

ولكتاب غالي شكري مزيتان آمرتان ، اولاهما انه دل على التطور الذهني لتفكير سلامه موسى ، فدفع عنه تهمة التناقض ، وبين ان عالما هذا شأنه كان يدين بالحقيقة العلمية الى ان يظهر عليها زيف او تؤخذ ببطلان ، وحينئذ يتولاها بالتعديل او بالهجران او بالكفر ، مؤمنا بان سنة التطور تفضي الى اكتناه اسرار الحقائق المحجبة ، وان الحق الجديد ينسخ الحق القديم .

أما المزية الثانية لكتاب غالي شكري ، فهي قدرته على تمثيل شخصية سلامه موسى وارائه تمثلا تاما ، وامتلاكه ناصية الاصول التي استمد منها سلامه موسى رؤاه الذهنية ، واجتهاده في ان يعيش مع سلامه موسى في عصره ومشاغل ذهنه ليستجلي عبقرية هذا العالم العصامي العظيم .

ولكن ، اذا كان غالي شكري قد استطاع ان يهضم نظريات سلامه موسى وان يعيد تقديمها الى القارىء في تسلسلها المنطقي ، فقد عز عليه ان يلبس ثوب سلامه موسى واسلوبه في عرضه لهذه الاراء . ذلك بأن اسلوب سلامه موسى يتميز بخصائص انفرد بها بين الكاتبين جميعا ، منها التناول المباشر ، والحيوية اللفظية ، ومنها البساطة بل السذاجة في ايراد المعاني ، ومنها اجتناب المحسنات البيانية ، ومنها صوغ الالفاظ الموحية والمحركة ، ومنها التلغرافية الموجزة ومنها الانبعاث عن وجدان يقظ في اختيار العبارات . فهو كاتب يزن كل كلمة من كلماته بميزان علم النفس لادراكه الاثر النفسي للكلم المقول .

أما اسلوب غالي شكري ، فانه اسلوب اكاديمي فيه ظلال من الايديولوجية العقائدية ، ويكاد ينبهم في بعض تراكيبه . ثم ان غالي شكري يفترض ان قارئه من عتاة رجال الفكر ، فيسوق اليه اسماء الاعلام دون ان يقدمهم اليه او يعرفه بهم ، فيلقى القارىء عناء في فهم المعنى الكلي للعبارة اذا اقحم عليها اسمان اعجميان مجردان مثل مندل وويزمان او شفيتزر وتوماس مور او غيرهم من المفكرين الذين اقترنت اسماؤهم بنظريات معينة . فكان حتما عليه ان يوجز نظرية جريجور مندل في الوراثة ، ومذهب ويزمان في التطور ، ودعوة شفيتزر الى الحب الانساني ، ومدينة توماس مور الفاضلة ، وما الى ذلك ، لتكون الصورة اجلى في الذهن واوقع في النفس وابعد اثرا في الوجدان .

وقد احتفل غالي شكري احتفالا خاصا بتبديد تهمتين كثيرا ما توجهان الى استاذنا سلامه موسى عن غير بصيرة حقة . والتهمة الاولى هي دعوته الى اللهجة العامية . وقد يكون هناك رأي منسوب الى سلامه موسى في هذا الصدد ، ولكنه – على فرض صدقه – مهمل من صاحبه في كل ما خطه قلمه . فليس بين كتب سلامه موسى الخمسين كتاب واحد فيه لفظة عامية واحدة ، بل ان سلامه موسى اصح لغة وادق قاعدة وارصن اسلوبا وافصح تعبيرا من كثيرين من الكتاب الذين لا بضاعة لهم الا بضاعة اللغة .

والتهمة الثانية هي ان سلامه موسى كان فرعونيا نافرا من العروبة. وخير ما يساق في ادحاض هذه التهمة ما قاله لي استاذي وصديقي العلامة الكبير الامير الجليل مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي الموقر من ان سلامه موسى من اكبر دعاة العروبة في نظرنا . فكل من يعمل على ترقية الفكر العربي وانهاض اللغة العربية واعلاء شأن الثقافة بين العرب هو داعية من اكبر دعاة العروبة حتى وان قال هو غير هذا .

والحق الصراح ان سلامه موسى وان ازدهته فرعونيته في زمن ما ، فقد قال في زمن قال ان « العالم قريتي الصغيرة » . ومن كان العالم قريته ، يضيق قطعا بفرعونية عنصرية متقوقعة . ومن بشر بالانسانية وبالعالمية وشارك في مآدبها الممدودات ، لا يقنع بفتات العنصرية .

واقول صادقا لغالي شكري انه ادى للبحث العلمي امانة عظمى بوضعه هذا الكتاب الممتاز عن سلامه موسى ، فبرهن على ان بين شبابنا النابهين تطلعا الى ارتياد آفاق الفكر المترامية التي جال بينها سلامه موسى مستطلعا ومنقبا ومغامرا غير مقامر . فهذا الكتاب الرصين الجليل القدر يدل على الكد الذهني الشديد الذي يأخذ غالي شكري نفسه به لكي يؤسس حياته على صخرة المعرفة الصلداء . فهو على دراية واسعة بتيارات الفكر المعاصرة ، ما تعلق منها بالفلسفة او بعلم الاحياء او بعلم النفس او بالاجتماع او بالاقتصاد ، وهو مستوعب تمام الاستيعاب للقمم الادبية والفكرية في التراث الانساني كله ، وهو مستقل الشخصية ، ينتهي الى رأيه بجهده وعرق جبينه في غير محاكاة او نقل ، ومنهاجه منهاج المقارن المحلل الموازن المعلل الذي يصبو الى الحقيقة ملتمسا الى بلوغها جميع السبل .

والقارىء يلمس في اسلوب غالي شكري انفعالا حماسيا مقترنا

بنضال متصل ، فهو يبدي رأيه بعنف في الاتجاهات الفكرية التي لا تروق له ، ويدافع دفاع المستبسل عن الاراء التي تستهويه ، وهو في الحالين حريص على شرف الكلمة امين مع نفسه ومع قارئه . واذا كانت هذه باكورة عمله ، فليهنا من اليوم بما ينتظره من مجد في دنيا الافكار والاراء ، لانه لم يبدأ من نقطة الصفر ، بل بدأ برقم صحيح .

القاهرة — وديع فلسطين

•

ديوان المزرّد ضرار الغطفاني

تحقيق خليل ابراهيم العطية — ١٠٤ صفحة — مطبعة اسعد ببغداد

لا بد من مقدمة عن الاعمال التحقيقية في العراق قبل ان تناقش هذا الكتاب . مما يؤسف له ان حركة احياء تراثنا القديم هنا تتميز بالبطء والقلة اذا ما قيست بحركتنا التراثية في مصر والشام ، هذه الحركة التي تميزت بالعمق والتفرع والاتقان ولا ادل على ذلك ما يطبعه المجمع العلمي العربي في دمشق من مطبوعات كثيرة محققة من قبل اعضائه الفضلاء .

اما العراق فرغم ان فيه الدكتور مصطفى جواد الذي يعتبر رائد هذه الحركة الا ان ذلك لا يمنع هذه الحركة ان تكون بطيئة ، فأستاذنا الدكتور جواد حقق كتبا تأريخية هامة في مقتبل حياته الادبية (١) بيد انه لامر ما تحول الى ناقد للاعمال التحقيقية ومقالاته الموسعة في مجلة المجمع العلمي العراقي تشهد « بمكنته وعلو كعبه » في هذا المجال ، ولكنه رغم هذا حرمنا كتبا هامة ننتظر تحقيقها لا يصلح لها الا استاذنا جواد .

اما الاستاذ الاثري فرغم علميته وجودة ابحاثه ، محقق مقل جدا لم نر له سوى تحقيقه (فريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الاصبهاني (الجزء الاول — قسم شعراء العراق) اما الجزء الاخر فستلده المطبعة قريبا .

وثمة محققون اخر انتظر القارىء منهم فيوضات جديدة ، بيد انهم ابوا الا الصمت ، من هؤلاء الباحث الجليل الاستاذ كوركيس عواد ، فقد حقق قبل سنين ديارات الشابشتي ، وصمت ، والدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي التي حققت ديوان عباس بن الاحنف في رسالتها للدكتوراة وصمتت ، وخضر الطائي ورشيد العبيدي اللذين حققا ديوان العرجي وصمتا .

اما ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب فهما يلتجاءن في تحقيقاتهما الى دواوين حققت من قبل المستشرقين دونما اضافة او تحسين . كتحقيقهما مثلا لديوان القطامي الذي حققه المستشرق بارت في ليدن ١٩٠٢ وديوان قيس بن الخطيم الذي حققه كوالسكي في ليبزج ١٩١٤، وقد حقق هذا الديوان مجددا الاديب الكبير الدكتور ناصر الدين الاسد صاحب الكتاب المعجزة « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » فبرهن على نحو عملي متقن مدى تخلف السيدين مطلوب والسامرائي عن مواكبة الصعيد التحقيقي لذخائرنا المخطوطة .

ولا اود بهذه المناسبة ان اغفل ذكر استاذنا الشيخ محمد حسين آل ياسين الذي حقق ديوان المثقب العبدي وكثيرا من مؤلفات الصاحب بن عباد ، وهو لما يزل دائبا على اعماله التحقيقية رغم ضعفه وكبر سنه

وبعد فهذه كلمة موجزة انبعثت الى ذهني وانا احاول ان اكتب عن تحقيق قام به شاب جديد نستطيع ان نضمه الى هذا الرعيل الجاد الذي ذكرنا بعض رواده أن محقق هذا الديوان الاستاذ خليل العطية فهو باحث عرفه قراء مجلة « المكتبة » العراقية بمقالاته ذات النزعة البروكلمانية التي تدلل على ان صاحبها يرى البحث عملية مخاض واعصاب ممزقة ومن هنا يتبين لنا مدى نضج هذه المحاولة . في المقدمة تحدث الاستاذ المحقق عن المزرد ونسبه ووفاته وشيئا عن علاقته بالشاعر كعب بن زهير ثم تناول شعره فركز على ابداعية اللوحة فيه ، ولم يمنعه ذلك من تعداد اهم فنونه الشعرية فخص هجاءه — الذي كان يصدر فيه عن نزعة حطيئية — باكثر من ملاحظة ، على ان اهم ما يلفتك في هذه المقدمة تركيز المحقق وبراعته في الربط والاقتباس . ولا تخلو المقدمة ايضا من ابتكار وتساؤلات سببية كمحاولته مثلا تحديد وفاة المزرد بعام ٣٠ هـ لا كما افترض الاستاذ الزركلي انها كانت نحو ١٠ هـ . وثمة ملاحظة تلفت النظر هي ان ذهنية المحقق لم تكن تحمل أي زخم عاطفي ازاء الشاعر ، وهذا شيء حسن وفر لنا اصالة كنا احوج ما نكون اليها فقد قال عن صور المرأة في شعر المزرد كونها « تقليدية تصلح لتوصف بها كل امرأة ص ١٣ » .

اما عمله في مخطوطة الديوان ففيه من ذكاء الملاحظة ما كان مدعاة اعجابنا فقد حاول الاستاذ العطية ان يثبت لنا بان هذه المخطوطة «كانت تؤلف في الاصل هي واخوات لها مجموعا واحدا وجد بائعه في تقسيمه الفائدة المالية فافرد كل مصنف منه مستقلا يزيد بذلك ربحه ، آية ذلك ان الخط والورق والقطع وتسلسل الارقام تشابه في الجميع ، يضاف الى ذلك اجازة كل قسم من اقسامه بخط الصاغاني ص ١٤—١٥».

اما وصف المخطوطة وقياساتها فلم تكن له اذ سبقه اليها استاذنا كوركيس عواد (٢) ونظرا لعدم اعتراف المحقق بهذا السبق فقد اعتبرنا ذلك هفوة منه ، وثمة هفوات اخر في هذه المقدمة منها انه لم يقل لنا في أي مصدر وقف على ضبط اسم المزرد بكسر الراء لا فتحها ، كما انه لامر ما لم يشد بحرارة على شروح (مخطوطته) ونفاستها تلك التي جعلته اغلب الاحيان في منأى عن لسان العرب وغيره من المعاجم اللغوية الموسعة كما اننا لم نعثر ضمن مقدمته على استقراء تاريخي لمصادر ترجمة الشاعر ، فذكر المصادر وتقييمها بالنسبة لشاعر او عصر ما اتجاه جديد في تحقيقاتنا العلمية المعاصرة كانت صورته الاولى استقرائية تعتمد على الاندراج الزمني وحسب دون توجيه انتقادات ، ولكنه سرعان ما تعمق كثيرا واصبحت له سماته الفنية الواضحة التي ترتكز على السببية والمقارنات والولع باثارة الاسئلة الكثيرة والتفتيش عن حلول لها ذات اصالة ، وقد فعل مثل هذا الاتجاه الاستاذ احمد راتب النفاخ في تحقيقه لديوان ابن الدمينة والدكتور عزة حسن في تحقيقه لديوان بشر بن ابي خازم الاسدي .

وناتي بعد ذلك الى ملحق الديوان او (ذيله) فنجد ان المحقق قد جمع رصيدا لا بأس به من شعر المزرد الذي كان مثبتا هنا وهناك في مظاننا القديمة . ومن بين هذا الشعر قصيدة (دالية) تتألف من (٤٢) بيتا يحسبها المحقق انها كانت في عداد الاوراق المفقودة وبذلك يكون قد عثر على عدد لا يستهان به من تلك الاوراق ص ١٦ .

ولعل اهم ملاحظة نبديها على الذيل هي ان المحقق في شرحه لمفردات (الدالية) قد استعار اصابع الغير وشرب من محابرهم دون ما اشارة او تنويه ، فالدالية من اختيار الضبي في (مفضلياته) التي تولى شرحها وتحقيقها الاستاذان احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، والمحقق عوّل على شرحهما غير مرة .. وهو وان اتكا الى جانب ذلك

(١) من اهم الكتب التي حققها : المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد للحافظ ابن البديثي ، وتكملة اكمال الاكمال لابي حامد جمال الدين المعروف بابن الصابوني، والجامع المختصر لابن الساعي البغدادي.

(٢) تلاحظ مجلة سومر (الجزء الاول والثاني) ص ١٥٠ مجلد ١٤ .

على معجم البكري الا ان ذلك لا يمنعنا ان نأخذ عليه اغفاله قيمة الشرح وعدم الاشارة اليه في مقدمة التحقيق !

وثمة ملاحظتين اخريين : الاولى تتعلق بهذين البيتين ص ٧٩ اللذين لا اظن انهما للمزرد وذلك لان صفة الحداثة بادية عليهما ، فذكر المرد والخصي من (معلبات) العصر العباسي :

اذا لام على المرد	نصيح زادني حرصا
فلا والله لا والله	ما اقلـع او اخصى

كان الاجدر بالمحقق ان يشير الى وهن هذه النسبة ، لا ان يدع الامر على وضعيته وكانه شيء مسلم به .

أما الثانية فتتعلق بهذا البيت ص ٨٠ الذي اراه قلق المعنى على صورته المثبتة هنا :

اذا مس خرشاء الثمالة انه	ثنى مشفريه للصريح فاقنعا

والاصح (انفه) بدل (انه) كما ورد في رسالة مخطوطة لابي علي القالي ظفرت بها في مكتبة الاوقاف العامة وستنشر قريبا بتحقيقنا .

أما الفهارس فقد كانت غنية لولا ان بعضها قد غلب عليه طابع السرعة.

وثمة مميزات اخرى لهذا التحقيق اود ان اضغطها عبر النقاط التالية: شرحه ما اغفله (ثعلب) من الكلمات الغريبة وان كانت قليلة . وعنايته الكبيرة بترجمة الاعلام ترجمة مركزة مع الحاق كل علم ببعض المصادر التي تزود القارىء – ان رجع اليها – بتفاصيل وافية عن حياة هذا العالم وادبه . واضافة الى المتن كلمات كثيرة وجدها المحقـق ناقصة في الاصل . والامثلة على هذه الاضافات اكثر من ان تحصى .

اما المآخذ فاضافة الى ما ذكرناه نلحظ ما يلي : اغفاله احيانا ذكر مصادر بعض الاعلام الذين ترجم لهم في الحاشية كما فعل مثلا مع (ابي مهدي) ص ٣٨ وحميد بن مالك ص ٣٢ وابن احمر ص ٢٣ وسلمه بن خرشب وخفاف بن ندبه ص ٤١ وغيرهم .

ثم انه لم يثبت في تحقيقه ارقام صفحات المخطوط كما يفعل غيره من المحققين وهذا سهو لم اكـن احسب ان الاستاذ خليل سيقـع فيه. ورأيت المحقق يضيف واوا لا مبرر لها الى مطلع قصيدتين من البحر الطويل (أنظر ص ٦٦ ، ٧١) وفاته ان نقصان حرف في اول تفعيله في الطويل جائز عروضيا وهو ما يسمى (بالثرم) وقد ورد على هذه الصورة كثير من شعر الجاهليين والمخضرمين وفي ديوان سحيم (الشاعر الرجيم) يرد غير مرة بيد ان الاستاذ الميمني محقق الديوان لا يزيد واوا لانه كان على معرفة مفعمة بجذر القضية العروضية ، والملاحظ ان السامرائي ومطلوب كانا قد وقعا في مثل هذا اثناء تحقيقهما ديوان القطامي شاعر العصر الاموي وصريع غوانيه !

بقيت مقدمة الاستاذ الشبيبي التي كنا نود لو جاءت بشكل اكثر غنى وافادة مما هي عليه . اما قوله « ولا يقل احسان صاحبنا الاديب الباحث في ناحية التحقيق والتعليق عن احسانه في بذل الجهد حتى ظفر (كذا)بهذه النسخة النفيسة ص ٦ » ففيه تحبب ومغالاة اذ ليس ثمة ما يسمى جهدا او ظفرا للمحقق الذي لا اشك انه عرف بها من خلل الكشاف الذي وضعه الاستاذ عواد (٣) للمخطوطات التي تحفل بها مكتبة الاثار .

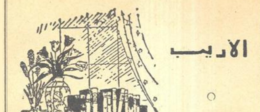
وبعد فارجو من القارىء الا يتصور ان ما ذكرته يغمط حق هـذا العمل ويقلل من اهميته ومن جهود محققه ، فهذا ما لا يستطيع احد ان يتقوله على هذا العمل الجليل . ان تراثنا العربي ليحمـد هذه الاطلالة التي انزرعت سنبلة خضراء الى جانب اخوات لها يعملن في هذا الحقل العلمي المرهق .

بغداد

مزيد الظاهر

عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

الاديب



⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direct : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139 Tél.

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان



● عشر ملحنات (سيمفونيات) – تاليف ثريا ملحس – ١٦٨ صفحة – منشورات المكتبة الاهلية بيروت – مطبعة نمنم (؟)

● تموزيات – تاليف فؤاد سليمان – تقديم غسان تويني – طبعة ثانية – ١٦٠ صفحة – منشورات دار الحضارة بيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اضواء ونغم – مجموعة شعرية – عبد السلام هاشم حافظ – تقديم الدكتور محمد مندور – ٢٤٠ صفحة – حجم صغير – مطبعة دار الجهاد بالقاهرة .

● صناعة الزجاج والبلور – تاليف ميخائيل عواد ١٨ صفحة – مع عدة لوحات – حجم كبير – منشورات وزارة الارشاد ببغداد – مطبعة الاوقاف العراقية ببغداد .

● حكومات بغداد منذ تاسيسها حتى عهدها الجمهوري – اعداد عبد الحميد العلوجي – تقديم اسماعيل العارف وزير الارشاد – ٣٢ صفحة – حجم كبير – منشورات وزارة الارشاد ببغداد بمناسبة العيد الالفي لبغداد والكندي – مطبعة التمدن ببغداد .

● المرشد الى مواطن الاثار والحضارة – تاليف طه باقر وفؤاد سفر – ٣٠ صفحة – منشورات وزارة الارشاد (؟) – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تطور نمو الاطفال – تاليف ويلارد اولسون – ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ ، السيد محمد عثمان ، وسامي علي الجمال – مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي – مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي – ٨١٨ صفحة – حجم كبير – منشورات عالم الكتب بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة .

● احبك – مجموعة شعرية – قبلان مكرزل – ١٦٠ صفحة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلسفتنا ، دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية – تاليف محمد باقر الصدر – ٣٨٤ صفحة – حجم كبير – منشورات عويدات بيروت – مطبعة كرم بيروت .

● لبنان والجيش – مجموعة زجلية – علي شرف الدين – تقديم الدكتور اسد رستم – ١٠٤ صفحة – مصور – منشورات عويدات بيروت – مطبعة كرم بيروت .

● فن التجليخ – تاليف فريد هـ. كولفن وفرانك ا. ستانلي – ترجمة دكتور محمد عبد المغيث القديم – مراجعة دكتور مصطفى كمال عبد العزيز – ٤٧٢ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر (؟) .

● أسس التاهيل المهني – تاليف كينيث هاملتون – ترجمة وتقديم العميد سيد عبد الحميد مرسي – مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي – ٣٧٠ صفحة – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – المطبعة العالمية بالقاهرة .

● النمو الوجداني والانفعال – تاليف وليم منتجر – ترجمة سامي علي الجمال – اشراف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي – ١٠٨ صفحة – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة .

● ماذا بداخل الارض – تاليف هربرت س. زم ترجمة سعد زغلول محمد – مراجعة وتقديم محمد عاطف البرقوقي – ٣٨ صفحة – حجم كبير – مصور – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حديقة الحيوان – تاليف لورا سوتن – ترجمة عنايات فريد – مراجعة وتقديم احمد زكي محمد – ٥٠ صفحة – مصور – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان المزرد بن ضرار القطفاني (برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب) عني بتحقيقه خليل ابراهيم العطية – قدم له الشيخ محمد رضا الشبيبي – ١٠٤ صفحة – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – مطبعة اسعد ببغداد .

● روبرت فروست ، قصائد مختارة – جمعها وقدم لها يوسف الخال – ١٩٠ صفحة – منشورات دار مجلة بيروت – مطابع دار شعر بيروت.

● ماذا بداخل الحيوانات – تاليف هربرت س. زم – ترجمة سعد زغلول محمد – مراجعة وتقديم محمد عاطف البرقوقي – ٣٨ صفحة – مصور – حجم كبير – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الثعابين – تاليف جون هوك – ترجمة الدكتور عبد الحليم كامل – ٦٨ صفحة – مصور – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر .

● القزم وبنت الطحان – تمثيلية – تاليف الاخوة جريم – ترجمة عنايات عبد العزيز فريد – اشراف احمد زكي محمد – ٦٨ صفحة – منشورات دار النهضة العربية (؟) – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

● مقدمة في الهندسة الزراعية – تاليف هـ. ف. ماكولي وج. و. مارتن – ترجمة محمد عبد الخالق دراز – مراجعة حسين عزت ابراهيم تقديم محمد السيد روحه – ٨١٠ صفحة – منشورات دار المعرفة بالقاهرة – المطبعة العالمية بالقاهرة .

● اغنية الى حبيبي – مجموعة شعرية – منذر لطفي – مصمم الغلاف حمدو زلف – ١٤٤ صفحة – حجم صغير – منشورات دار الاصلاح في حماه – (لم ينشر اسم المطبعة) .

● المسوحيات – الجزء الثاني – تاليف جبران مسوح – ١٦٤ صفحة – منشورات دار الثقافة بيروت – مطبعة دار الشمالي للطباعة بيروت.

● ضباب الحرمان – مجموعة شعرية – خضر عباس الصالحي – ١٤٨ صفحة – حجم كبير – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – مطبعة المعارف ببغداد .

● الخنساء في مرآة عصرها – بحث ونقد وتحقيق في حياتها وعصرها وشعرها – تاليف اسماعيل القاضي الحاكم في محاكم العراق – اشرف على طبعه وعني به وقدم له عبد الرحمن الناصر – الجزء الاول – ٣٠٤ صفحة – حجم كبير – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – مطبعة المعارف ببغداد .

● قضية الكتاب اللبناني – دراسة تمهيدية وضعها عبد اللطيف شرارة – قدم لها الدكتور قسطنطين زريق رئيس جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان – ١٠٤ صفحة – منشورات جمعية اصدقاء الكتاب بيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العلامة الاستاذ يوسف شاهين ، أحد مؤسسي النهضة العلمية بحمص وشيخ اساتذتها – بقلم نسيب يوسف شاهين – تقديم نظير زيتون عضو المجمع العلمي العربي بدمشق – ٢٦٥ صفحة – صدر في حمص – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قضايا الصحافة – تاليف جورج رجي – ٢٦ صفحة – منشورات دار الراصد بيروت – مطابع دار الراصد بيروت .

● الملكة الكادحة – قصة عراقية – تاليف قاسم الخطاط – ٢٦٨ صفحة – منشورات دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع بالقاهرة – مطابع دار العهد الجديد (؟)



نوفمبر ١٩٦٢

١٢ – قدمت روسيا وكوبا مقترحات جديدة لحل ازمة كوبا .

– السلال يعلن من اليمن قيام «جمهورية الجزيرة العربية » . قيادة صنعاء تنذر بضرب مطارات السعودية والاردن . نداء سعودي الى العالم لسحب القوات الاجنبية من اليمن باشراف دولي وتؤكد ان ليس في اليمن أي جندي سعودي . عدن تعلن لجوء ٣٠ جنديا من جيش السلال الى الضالع .

– لجوء طيارين اردنيين اخرين للقاهرة . بيان اردني يعزو هربهما الى الاساليب المصرية .

– طائرات كاتانغا تعاود قصف مراكز جيش الكونغو المركزي في شمال كاتان .

– مكميلان يدافع عن قرار حكومته باجراء تجربة نووية تحت الارض في نيفادا .

– مجلس الشيوخ الهندي يقر سياسة نهرو بالاجماع .

١٤ – مقر الامام يعلن احتلال موقع معصم البيضا . وصنعاء تعلن شن هجوم مضاد في سرواح . اشتباك المدفعية السعودية بطائرة مصرية فوق نجران . نفاثات امريكية في سماء الرياض وجدة الانباء تقول بانها زائرة وستعود الى المانيا .

– تحذير امريكي جديد الى روسيا من بناء قواعد بحرية في كوبا .

– اجتمع كنيدي واديناور في واشنطن وبحثا في قضية برلين والموقف الدولي .

١٥ – الامام يعلن بدء معركة لواء تعز . وصنعاء تعلن ابادة مهاجمين جدد . بيان اردني يؤيد طلب السعودية بسحب القوات الاجنبية من اليمن ويؤكد الالتزام بالدفاع المشترك مع السعودية . غادرت الطائرات الامريكية الرياض الى المانيا .

– شنت الهند اكبر هجوم على الصينيين حتى الان .

– خروشوف يعرض سحب قاذفاته النفاثة في كوبا ولكن بشروط عديدة لم تقبلها امريكا .

– اتفاق كنيدي واديناور على حل قضية كوبا قبل برلين

١٦ – السلال يقول وصلنا الى حدود السعودية ونتابع تقدمنا . انباء الامام تتحدث عن اشتباكات اخرى قرب تعز . البيضاني وممثل امريكا في اليمن يتبادلان الاستيضاح عن الطائرات الامريكية في السعودية . صنعاء تؤكد ان موقفها دفاعي . وامريكا تجيب لن نشترك باي هجوم على اليمن .

– شنت الصين هجوما مضادا واسعا . القتال يدور بعنف قرب والونغ .

– كاسترو ينذر باسقاط كل طائرة امريكية تطير فوق كوبا . فترد امريكا بالاصرار على ارسال طائراتها للمراقبة .

– امريكا تعد بالمساعدة في انشاء قوة ذرية لحلف الاطلسي .

– راسك يكرر تصميم امريكا على البقاء في برلين مهما كانت العواقب .

١٧ – في اليمن ، البيضاني يجدد الانذار وينتظر وفاء امريكا بتعهدها . الامام يعلن عن معركة كبيرة قرب سرواح واسقاط طائرتين . صراع بين الوفدين اليمنيين في الامم المتحدة

– وصول وفد عسكري سوري جديد الى موسكو برئاسة اللواء وديع مقعبري قائد القوات الجوية .

– استقال السر باتريك رينسون حاكم كينيا نتيجة لتاخير موعد الاستقلال .

– صدر قانون بتأسيس مجلس مركزي للسودان يكون مع الفريق عبود الهيئة التشريعية في السودان .

– اضطرت القوات الهندية الى التراجع امام الصينيين في والنغ .

– امريكا قلقة من تاخر الروس في سحب قاذفات قنابلهم من كوبا .

– فشل ايدناور في انهاء ازمة مجلة درشبيغل التي تهدد باسقاط حكومته .

١٩ – نزول مظليين جمهوريين في قطاع صعدا . الملكيون يعلنون استمرار حصارهم قوات الثوار والمصريين في قلعة صعدا . السلال يعد القبائل بالعفو اذا عادت اليه .

– الصينيون على بعد ٣٠ ميلا من آسام واعلن نهرو سقوط ممر سيلا ومدينة بومديلا في ايدي الصينيين .

– اعلن بن بيللا انه سيؤمم الكهرباء والمناجم والتجارة الخارجية في الجزائر .

– العراق يربط موقفه بمواقف الدول العربية الاخرى في الاستجابة لنداء القدسي للتوسط في حرب اليمن .

– خروشوف يعلن اعادة تنظيم الحزب الشيوعي لاصلاح الاقتصاد .

– خمسة وزراء يستقيلون من حكومة ايدناور .

– امريكا تطلب من روسيا جوابا مرضيا بشان سحب قاذفات القنابل من كوبا .

٢٠ – اعلنت الصين وقف اطلاق النار وقرب انسحابها ٢٠ كيلومترا وراء خط ٧ نوفمبر ١٩٥٩ وانها اتخذت هذا القرار لتسهيل التفاوض . الهند تقول قرار الانسحاب غير واضح .

– السلال يكرر انذار القبائل بالتسليم . البدر يتحدث عن معركة عنيفة في منطقة قبيلة الاهنوم .

– قررت سورية الغاء حالة الطوارىء ابتداء من العام المقبل . وكانت قد اعلنت في ١٩٥٦

– قبل كاسترو سحب القاذفات الروسية من كوبا .

– استقال جميع وزراء ايدناور وكلفه حزبه بتشكيل الوزارة الالمانية الجديدة .

– اعلن يوثانت اتخاذ تدابير حازمة ضد تشومبي لتحقيق اندماج كاتانغا بالكونغو .

– شن كادار رئيس وزراء المجر حملة غير مباشرة على الصينيين الشيوعيين داعيا الى اشراك العناصر غير الشيوعي في تطوير البلاد .

٢١ – الاسطول الامريكي ينسحب بعد رفع حصاره عن كوبا .

– اوقف الصينيون زحفهم في اسام . والهند تدرس بيان الصين وتصر على شروطها .

– الفريق محمود قائد القوات الجوية المصرية عاد من اليمن واعلن : سيطرتنا تامة على سماء اليمن . انباء الامام تقول : شددنا الحصار على حصن وشحه .

– وصلت الى الهند اسلحة وطائرات من بريطانيا وامريكا

٢٢ – الصين والهند تلتزمان وقف القتال دون تعهد الهند بشيء . الهنود يتدربون على طائرات الميغ في روسيا .

– طائرات امريكية جديدة تظهر في السعودية . الامام والسلام يتبادلان الحملات ويعدان كلاهما بالعفو .

– تشريعات لاعادة الحياة الحزبية في سورية والتمهيد لانتخابات جديدة .

– اتفق المغرب واسبانيا على مبادىء المفاوضات على المناطق المغربية التي تحتلها اسبانيا .

– توفي رينه كوتي رئيس الجمهورية الفرنسية السابق

– وزير المستعمرات البريطاني يتوسط بين الهند وباكستان بشان كشمير .

– كنيدي يعقد اجتماعا هاما لاعادة تخطيط السياسة الامريكية بعد انفراج ازمة كوبا .

– اعلن في لندن ان نياسالاند المحمية البريطانية ستكون لها حكومة افريقية محلية

بموجب دستور من مرحلتين ابتداء من العام المقبل .

٢٣ – طلبت الهند من الصين ايضاحا للبيان الصيني عن وقف القتال والانسحاب .

– انباء صنعاء تعلن استمرار الهدوء منذ اسبوع في اليمن . وانباء الامام تعلن ابادة وحدة مظليين .

– انعقد في تونس مؤتمر الغرف الاقتصادية العربية .

٢٤ – جرت في الاردن الانتخابات النيابة العامة .

– قرض فرنسي لسورية ب ٥٠ مليون دولار . فرنسا تساهم مع المانيا بمشروع سد الفرات .

– وصل الى صنعاء وفد من اعضاء مجلس العموم البريطاني بدعوة من البيضاني للاطلاع على الاوضاع . طرح مسألة الاعتراف بالحكم الجمهوري على بساط البحث .

– نائبان جديدان لرئيس الوزارة الروسية . وسلسلة تعيينات لتحسين الاقتصاد السوفياتي .

– وصل ساندز وزير علاقات الكومنولث البريطاني الى نيودلهي وبدأ محادثاته لمعرفة حاجات الهند الدفاعية والتوسط بقضية كشمير .

٢٦ – الامام يتحدث عن ٣ معارك واسقاط طائرتين ومصادر صنعاء والقاهرة تؤكد الهدوء وتتحدث عن مشروع لتحسين المدن والمساكن في اليمن

– ديغول يكلف بومبيدو بتشكيل الوزارة الفرنسية بعد ان اكمل ديغول فوزه الساحق في الانتخابات .

– بعد انتهاء زيارة مكاريوس لتركيا صدر بلاغ مشترك تحدث عن اهمية المحافظة على العلاقات الودية بين البلدين .

– تنسيق التنمية وشبكة طرق وزيادة التبادل يوصي بها مؤتمر الغرف العربية في تونس .

– طلبت الكويت من الجامعةالعربية تخفيض القوات العربية الموجودة في الكويت .

– مناقشة القضية الفلسطينية في الامم المتحدة .

– الدول العربية تقدم مشروع قرار للامم المتحدة بمنح عمان الاستقلال .

– كوبا تستأنف الحملة على امريكا بشدة وتطالب بتفتيش مقابل للقواعد الامريكية .

– استعداد هندي عسكري واسع لمجابهة استئناف القتال . تسليم الرد الصيني على استيضاح الهند .

– استأنف مؤتمر نزع السلاح مناقشاته في جنيف

٢٧ – كنيدي يعلن توسطه في نزاع اليمن . اربع رسائل من كنيدي لناصر وسعود والحسين والسلال . مذكرة من الامام تطلب تحقيقا دوليا وعربيا .

– بريطانيا تقدم أسلحة للهند بعدة ملايين وتراقب استعمالها لتهدئة خواطر باكستان .

– الحكومة الجزائرية تعلن سياسة تعاون كامل مع فرنسا . اقر المجلس التأسيسي بيان الحكومة عن السياسة الخارجية .

– اكتشاف محاولة جديدة لاغتيال ديغول .

– واشنطن ولندن تعلنان موعد اجتماع كنيدي وماكميلان في جزر البهاما في ١٩ و ٢٠ الجاري .

– كازافوبو يجدد لتشومبي وعده بالعفو مع طلب تدخل امريكا بحزم في الكونغو دفعا لخطر تجدد الحرب الاهلية فيها .

٢٨ – رد مبدئي من القاهرة على مسعى كنيدي . الاستعداد لانسحاب على مراحل مقابل ضمان . واشنطن مرتاحة لرد القاهرة . السلال يعلن قواتنا كافية لنقل المعركة الى الرياض . مقر الامام يعلن احتلال مطار صعدا .

– استقال مجلس الاعيان الاردني وسيعين غدا المجلس الجديد .

– بدأت المحادثات الانجلو امريكية مع ايوب خان . تهدئة خواطر باكستان والسعي في تسوية لكشمير .

– اعفى ديغول الجنرال جوهو واندريه كانال من الاعدام وهما من زعماء منظمة الجيش السري .

– توفيت ويلهلمينا ملكة هولندا السابقة .

– اقرت اللجنة السياسية للامم المتحدة مشروع القرار العربي بالاعتراف بحق شعب عمان في الاستقلال .

– وعد العراق بتقديم المساعدة للجمهورية اليمنية . الاف من ألبسة الجنود مع خبراء ترسلهم بغداد الى صنعاء .

– بورقيبة يحذر العرب من الانعزال لانه يعني الوقوف بل الرجوع القهقرى .

– محادثات دولية واسعة في القاهرة لمحاولة ايجاد حل مشرف لازمة الهند والصين .

– خسرت حكومة ادولا في الكونغو الكثرة البرلمانية ولكن رئيسها اعلن بقاءه في الحكم .

– دمج الجيوش اللاووسية الثلاثة في جيش وطني واحد .

– الصين تؤكد للهند عزمها على سحب قواتها مسافة محدودة .

٢٩ – وافق ايوب خان ونهرو على التفاوض لتسوية النزاع على كشمير والمشاكل الاخرى .

– دلائل موافقة مشتركة على وساطة امريكا في اليمن . وفد النواب البريطانيين يزور صنعاء وعمران . الامام يدعو النواب لزيارته كذلك

– رسالة جديدة من شوان لاي الى نهرو . بكين تتحدث عن تقدم قوات هندية .

– مذكرات روسية جديدة عن برلين تعتبر تسويتها مسألة عاجلة جدا .

– كنيدي يعد جمهورية الصومال بمساعدتها اقتصاديا

٣٠ – انباء عن رفض السعودية اقتراحات كنيدي . السلال في الجنوب يدعو الى التجنيد للدفاع . مقر الامام يعلن استئناف الهجوم بعد هدوء العواصف والامطار .

– انتخب يوثانت امينا عاما اصيلا للامم المتحدة لخمس سنوات

– وصل وزير خارجية الجزائر الى باريس للبحث في ازالة عقبات التعاون الشامل مع فرنسا .

– اسلحة بريطانية لانشاء جيش لاتحاد الجنوب العربي واحلال ضباط عرب محل الضباط البريطانيين .

– القوات المحايدة في لاوس تهدد باسقاط الطائرات الروسية .

– تباحث كنيدي مع ميكويان بقضية كوبا وتقرر متابعة المحادثات بين ممثلي امريكا وروسيا في الامم المتحدة .

– بدء انسحاب القوات الصينية الى المواقع المعينة . نهرو ينفي ان يكون تقسيم كشمير اساسا للحل مع باكستان .

– الامم المتحدة تحذر كاتنغا من عواقب الاستمرار في قصف مواقع جيش الكونغو المركزي .

– تقرر اغلاق قيادة القوات البريطانية للشرق الادنى في قبرص .

ديسمبر ١٩٦٢

١ – القاهرة تعلن اتصال حامية صعدا بالمظليين . ومقر الامام يعلن معركة جديدة في صعدا . انباء عن ازدياد التفاؤل بقرب حل النزاع على اليمن .

– افتتح الملك حسين مجلس الامة الاردني الجديد . وفي خطاب العرش شرح الحسين موقف الاردن من اليمن ومحالفة السعودية .

– عاد ميكويان بعد محادثاته مع كنيدي الى موسكو معلنا تفاؤله وداعيا امريكا وروسيا الى التفاهم والتعاون .

– انذار صيني باستئناف الهجوم على الهند . مع طلب انسحاب القوات الهندية مسافة مماثلة لانسحاب الصينيين .

– وقع اتفاق تجاري بين موسكو ولاوس .

– كاتانغا تعرب عن استيائها من تصرفات الخارجية الامريكية التي تضع نفسها محل الامم المتحدة والحكومة الكونغوية .

٢ – بدأت روسيا تسحب قاذفاتها من كوبا . بيان امريكي يعلن تحرك الشحنة الاولى .

– طلب كنيدي وقف القتال في اليمن تمهيدا للتسوية . القاهرة تؤكد قبول الاقتراحات الامريكية . مقر الامام يعلن صددنا

هجوما في صرواح . القاهرة تعلن لجوء قوة من اليافع .

– وصل الملك سعود الى لوزان لاجراء فحوص طبية .

– تدابير امن استثنائية في مدينة الجزائر بعد اعتقال مفوض شرطة ومطاردة حزب سري .

– صرح نهرو : انسحب الصينيون ولكن من المناطق التافهة . باكستان تستعجل المفاوضات مع الهند ، ونهرو يعطي الباكستانيين تعهدا جديدا يطمئنهم .

– امريكا تناشد روسيا التعاون للوصول الى حل سريع لقضية وقف التجارب النووية .

– اعاد وصفي التل تشكيل الوزارة الاردنية الجديدة .

٤ – بن بيللا يعلن تشتيت جماعات المتمردين الذين يهددون سلطة الدولة الجزائرية في خمس مناطق وان زعماء العصابات قد اعتقلوا . ازمة اقتصادية خطيرة تعانيها الجزائر ونداء عاجل لمساعدتها .

– بدأت المحادثات التمهيدية في دلهي لفتح المفاوضات بين الهند وباكستان . نهرو يعلن : روسيا لن تتراجع عن تسليمنا طائرات الميغ .

– قتال عنيف بين قوات حكومة الكونغو المركزية ودرك كاتانغا في كونغولا .

– وصل تيتو الى موسكو واجتمع بخروشوف . لقاء حار ووعود بتعاون وثيق .

– تأميم شركة المحروقات في اليمن . مقر الامام يعلن سلسلة معارك جديدة .

٥ – قررت القاهرة منح الجزائر قرضا بقيمة ١٠ ملايين جنيه .

– الزعيم الشيوعي الالماني اولبريشت يعلن في برلين الشرقية : ليست معاهدة الصلح عاجلة . سياسة الحلول الوسط اصبحت هي السائدة .

– عبد الناصر يعدل عن السفر الى المغرب ليبقى على اتصال باليمن . السلال يصرح : دخلت تعز التي قالوا انها محاصرة . مقر الامام يعلن استمرار الحركات الحربية حسب الخطط المرسومة .

– انتقلت المساعي الى القاهرة للتوسط في نزاع الهند والصين .

– الجزائر تضمن الاوروبيين وتسهل استثمار رؤوس الاموال الفرنسية . لجنة مشتركة لتأمين عيش الاوروبيين والجزائريين .

– نهرو يطير فوق الجبهة ليشاهد الانسحاب الصيني .

– احتلت قوات حكومة الكونغو بلدة كونغولو شمالي كاتانغا .

– تم اتفاق تعاون امريكي روسي في حقل الفضاء .

– الحزب الشيوعي الايطالي يشجب الصين الشعبية .

٦ – مصادمة عنيفة بين الوفود العربية والوفد الاسرائيلي في الامم المتحدة . بدأت الحملة الاسرائيلية للدعوة الى مفاوضات .

– تقرر تخفيض قوة الطوارىء العربية في الكويت وتحويلها الى قوات رمزية .

– وفد صيني في القاهرة بعد الوفد الهندي . وساطة القاهرة تتعلق بحل موقت تمهيدا للمفاوضة .

– الانقسام يشتد ويتفاقم بين روسيا والصين . حملات شيوعية متبادلة واتهامات وسباب في مؤتمري روما وبراغ .

– اعداء كاسترو يقصفون شواطىء كوبا . سحب ١٥ قاذفة جديدة روسية من الجزيرة .

– نهرو يعلن : لن تأتي قوات برية لمساعدتنا ولكن قد يأتي مستشارون من الخارج .

٧ – سلم عبد الناصر سفير امريكا رده على كنيدي في الوساطة اليمنية . السلال يوحد القيادة . والامير الحسن ينفي طلب اسلحة من بريطانيا .

– اقر المغربيون مشروع الدستور بنسبة ساحقة . اقبال شديد على الاستفتاء تسبق فيه المرأة الرجال .

– تقوم تونس بالوساطة لحل قضية كشمير بين الهند وباكستان .

– اعلن ايدناور مستشار المانيا الغربية عزمه على الاعتزال وترك المنصب والسياسة في الخريف المقبل اذ يبلغ ٨٧ عاما .

– تعبئة عامة للشباب في الجزائر من اجل البناء . مساعدة غذائية جديدة من امريكا للجزائر بـ ٣٥ مليون دولار .

– اعلن الروس استعدادهم لوقف التجارب في اخر السنة ولكنهم عادوا فسحبوا التصريح بحجة ارتكاب خطأ في اعلانه .

– الخلاف الامريكي الروسي على كوبا لما يحل . اتم الروس سحب ٤٢ قاذفة من كوبا .

٨ – ثورة مسلحة في سلطنة بروناي في بورنيو . القوات البريطانية تتدخل بطلب السلطان لقمع الثورة .

– اشتباك دام بين الجنود الفرنسيين والجزائريين في الاصنام .

– طار السفير الامريكي من القاهرة لمقابلة كنيدي . رسالة من الامام لكنيدي تطلب ارسال لجنة تحقيق . برقيتان من الحسن لكنيدي وماكميلان يطلب مساعدتهما لوقف التدخل الخارجي في اليمن . انباء صنعاء تؤكد استمرار الهدوء . وانباء الامام تعلن سلسلة اشتباكات .

– بدأت وفود ست دول غير منحازة محادثاتهم في كولومبو في مسعى لايجاد حل وسط للنزاع الهندي الصيني .

– اختتم البابا يوحنا المجمع المسكوني بتفاؤل . المرحلة الثانية تبدأ في ٨ سبتمبر المقبل

– اختفاء القنصل الايطالي في كاتانغا بعد صدور امر بطرده من المقاطعة .

٩ – احتفلت تانغانيقا باستقلالها وبتنصيب اول رئيس جمهورية لها هو الدكتور جوليوس نيريري .

١٠ – سورية تبلغ الدول عن حركات اسرائيلية للاعتداء واحتلال المنطقة المجردة من السلاح .

– مشروع قرار في الامم المتحدة يدعو العرب واسرائيل للمفاوضة قدمته ١٨ دولة اعلن العرب رفضه قطعا .

– ارسل الملك حسين رده على وساطة كنيدي في اليمن وفيه اقتراحات مقابلة . مصادر الامام تعلن احتلال حصن وقرب سقوط اخر . وانباء صنعاء تعلن وصول مساعدات اخرى من القاهرة .

– استردت القوات البريطانية مطار مسيريا من الثوار في سلطنة بروناي

– اقترح نهرو الاحتكام الى محكمة العدل الدولية في النزاع الهندي الصيني . واعلن رفض الشروط التي عرضتها الصين لتسوية النزاع وشدد على ضرورة انسحاب القوات الصينية من اراضي الهند

– الجزائر تعلن اسفها لحوادث الاصنام . اتفاق الجزائر وباريس على حصر القضية

– اعلنت امريكا ان العسكريين الروس اخذوا في الرحيل من كوبا

– زيادة كبيرة لمخصصات الدفاع في روسيا . نسبة المساعدات الخارجية تزداد ٢٤ ٪

– صدر بلاغ عن مباحثات مؤتمر كولومبو يقول انه يسعى لمساعدة الهند والصين في استئناف مفاوضات مباشرة للوصول الى تسوية سلمية . وقال ان الوضع على حدود البلدين يشكل خطرا على التضامن الافريقي الاسيوي وعلى سياسة عدم الانحياز

١١ – تواصل اللجنة السياسية في الامم المتحدة مناقشة قضية اللاجئين الفلسطينيين مندوب امريكا يعلن : نقبل تمديد اجل وكالة الغوث سنة على ان تجري مساع جديدة لحل المشكلة .

– صنعاء تعلن هجوما عاما لسحق جيوش المقاومة ومقر الامام يعلن كسب معركة في العروش

– قررت منظمة المعاهدة الوسطى الشروع بتوسيع مرفأ الاسكندرون

– وصل راسك وزير خارجية امريكا الى باريس وبدأ محادثاته . ديغول ينادي بانشاء قوة نووية خاصة بفرنسا

مطبعة الغريب شارع هوفلاين . بيروت . ت: ٢٤٦١٨٥